الطبعة 2

رواسخ

فقط ستة أرقام

القوى العظمى التي تُشكّل الكون

د. مارتن ريس
أستاذ علوم الفيزياء وفلكي المملكة البريطانية

تقديم
د. محمد العوضي

ترجمة
جنات جمال
مهند التومي
د. مؤمن الحسن
د. موسى إدريس

قناة أفيون المثقفين
على تلغرام

الرابط:

t.me/afyoune

فقط ستة أرقام
القوى العظمى التي تُشكِّل الكون

@afyoune

بسم الله الرحمن الرحيم

فقط ستة أرقام

القوى العظمى التي تُشكِّل الكون

Just Six Numbers

The Deep Forces That Shape The Universe

تأليف

د. مارتن ريس

Martin Rees

أستاذ علوم الفيزياء وفلكي المملكة البريطانية

تقديم

د. محمد العوضي

ترجمة

جنات جمال   مهند التومي

د. مؤمن الحسن   د. موسى إدريس

روافد

فقط ستة أرقام .. القوى العظمى التي تُشكِّل الكون

د. مارتن ريس

ترجمة: جنات جمال - مهند التومي - د. مؤمن الحسن - د. موسى إدريس

مراجعة لغوية: محمد عادل

تقديم: د. محمد العوضي

رواسخ 2018

420 ص ؛ 23.5 سم.

الترقيم الدولي: 978-977-6545-00-7

الطبعة الثانية: 2018

جميـع حقـوق الطبـع محفوظـة

1439 هـ - 2018م

الكويـت - شـرق - شـارع أحمـد الجابـر - بـرج الجـاز

هاتـف: 0096522408686 - 0096522408787

0096590963369

RAWASEKH

رواسخ

اصدارات • دراسات • برامج

- مركز غير ربحي مختص في معالجة القضايا الفكرية المعاصرة وفق أسس عقلية وعلمية منهجية.
- يسعى لإيجاد خطاب علمي مؤصل من خلال تأليف وترجمة الكتب والبحوث التأصيلية والحوارية.
- يُعنى بإقامة الدورات والندوات، وإنتاج المواد المرئية النوعية.
- يستهدف بخطابه المهتمين بالمعرفة من مختلف شرائح المجتمع.

عن المؤلف

السير واللورد والبروفيسور مارتن ريس، هو أستاذ باحث بالجمعية الملكية بجامعة كمبريدج، وأحد أهم علماء الكونيات في العالم. هو كذلك يحمل لقب «فلكي المملكة البريطانية»، وزميل الجمعية الملكية، وزميل الأكاديمية الملكية للهندسة، وزميل أكاديمية العلوم الطبية البريطانية، وزميل الأكاديمية الوطنية الأمريكية للعلوم وعدة جمعيات علمية أخرى. شارك مع العديد من زملائه من المملكة المتحدة وبقية العالم في طرح كثير من الأفكار الرئيسية في الفيزياء الفلكية، كالثقوب السوداء، وتكون المجرات، وفيزياء الطاقة العالية. وكان رئيساً سابقاً للاتحاد البريطاني لتقدم العلوم، ورئيساً لكلية ترينيتي في جامعة كمبريدج من 2004م حتى 2012م، ورئيساً للجمعية الملكية من 2005م حتى 2010م.

@afyoune

الأرقام.. والبدائل الباردة

تعددت الأدلة التي يؤكد عليها الذين يعتقدون بوجود خالق لهذا العالم، ومن ذلك، حدوث هذا الكون وظهوره بعد العدم للاستدلال على وجود مُخرج لهذا الكون من كتم العدم، وهو ما فصّله الفلاسفة السابقون وأيدته نتائج الرصد الخاضع للحواس والعلوم التجريبية المعاصرة.

ومنهم من استدل بإمكان هذا العالم وعدم استحالة فرضه بصورة أخرى على احتياجه لمرجح، يرجح وجوده بصورته الحالية على غيرها من الصور، وقطعاً لن يكون هذا المرجح جزءًا من المادة ولا حالاً فيها.

ومنهم -وهو ما يهمنا الكلام عنه هنا- من استدل بدقة صنع هذا الكون، وجريانه وفق قوانين ثابتة لا يمكن تصور تناسق كوني بدونها على وجود صانع عالم، وضعه على هذه الصورة المتقنة.

ومما يستدل به على هذا الاتساق مجموعة القواعد والقوانين الكونية التي تشكل بمجموعها صورة الكون الذي يسحر المتأمل فيه بموضوعية، والتي لو تغير واحد منها بنسبة بسيطة جدًا لاختل نظام الكون، وزالت عنه احتمالية وجود حياة فيه، فلا يتصور وجود نظام حيوي دون وجود نظام فيزيائي متسق في نفسه، وملائم لمطالب هذا النظام الحيوي.

ومن المهم لفت الأنظار إلى أن العلماء المستدلين بهذا الدليل ليسوا غافلين عن الاعتراض الذي يوجهه الملاحدة بفرض عوالم متعددة، يكون عالمنا هو الوحيد المتقن فيها، فإن معتنق هذا الرأي وإن شكك في يقينية هذا الدليل إلا أنه لا يمكنه أن يلغي الظن القوي جدًا الحاصل به، إذ أن احتمال مصادفة هذه الصفات في هذا الكون، أو احتمال وجود عدد كبير جدًا من الأكوان يكون ضئيلًا جدًا وبصورة لا تذكر، وعلى هذا فلا يجوز ترك العمل بالظن القوي الأقرب إلى القطعية بسبب

احتمال ضعيف واهن.

ولو أن أحد المعارضين الموضوعيين واجهها في حياته لبلورة آرائه، فإنه لن يلتفت لهذه النسبة الضئيلة انقياداً لمنطق العقل في تغليب الظن الأقرب للصواب.

لكن السؤال الذي ينبغي ألا يغيب عن الأذهان هو: لماذا يُضحي الملاحدة بالدليل القوي الراجح المتسق مع التفكير المنطقي، ويختارون بديلًا احتماليًا هزيلًا يعضون عليه بالنواجذ؟!

هل نحن أمام من يناقشنا بحجج عقلية برهانية؟ أم أننا نواجه قومًا مسكونين بالدوافع النفسية المسبقة، التي سرعان ما تنكشف تحيزاتها عند إلزامها بالاحتكام إلى البراهين ومنطق العقل المبين؟

ولأجل تغليب الحق والانتصار له ينبغي أن ينتبه الفريقان إلى أن الخلاف في قوة دليل النظام خلاف على هذه الصورة المخصوصة، أما لو أضيف إلى الدليل أن هذا النظام وهذا العالم حادثان، فإن بديهة العقل تحكم باحتياجه إلى خالق منظم، إذ لابد لكل حادث من مُحدث قادر على إحداثه.

ونحن في (رواسخ)، إذ نتعاون مع (براهين) في طرح هذا الكتاب، نعلم وننوه بأن المؤلف ليس منحازًا لجانب الإيمان، لكنه من ناحية أخرى يطرح تساؤلات وجيهة ومهمة أمام الإلحاد. هذه التساؤلات التي تخص قيام بنية الكون على جملة حسابية دقيقة، اختار لها الأرقام الستة، فوجدنا فيه ترجيحًا لمنطق العقل المعزز للإيمان بالخالق الحكيم، خلافاً للامنطقية الذين يهرعون لاختيار أي قرينة هامشية مهما كانت ملتحفة بالهشاشة والضعف، لا لشيء سوى العناد المؤدلج المضاد للتنوير، ومن ثم الركون إلى الإلحاد البارد.

د. محمد العوضي

مقدمة

علم الفلك هو أقدم العلوم الرقمية، كان في العصور القديمة جوهرياً لعمل التقويمات وللملاحة، والآن يواجه موجة من الاكتشاف. التركيز المتزايد على الزمن ونحن ندخل الألفية الجديدة، يعزز الاهتمام ببيئتنا الكونية. لا يزال علم الفلك هو علم الأرقام، وهذا الكتاب هو قصة ستة أرقام، والتي تعد مصيرية للكون ولمكاننا فيه.

وتعليقًا على الحدود غير الواضحة للخرائط القديمة، كتب رسامو الخرائط: «هناك تَنانين»[1]. بعدما أحاط الملاحون الأوائل بأرجاء المعمورة، وقاموا بترسيم حدود القارات والمحيطات الرئيسية، قام المستكشفون اللاحقون بملء التفاصيل الباقية. لكن لم يبق أمل في اكتشاف قارة جديدة، ولم يكن هناك مطلقًا أي توقع بأن حجم وشكل الأرض سيعاد تقييمهما بشكل جذري؛ لأن الضوء القادم من الأجرام البعيدة يستغرق وقتاً طويلًا في ارتحاله إلينا، فالتلسكوبات الحديثة الآن تذهب هي لسبر أغوار الفضاء. كما أنها أيضاً تعطينا لمحات عن الماضي السحيق، فقد اكتشفنا «حفريات» رصدت في الثواني القليلة الأولى من التاريخ الكوني. وكذلك المركبات الفضائية كشفت لنا عن وجود النجوم النيوترونية، والثقوب السوداء، والظواهر الأقصوية الأخرى، التي توسع من إدراكنا للقوانين الفيزيائية. تلك التطورات وسعت بشكل كبير آفاقنا الكونية. وقد كانت هناك محاولة لاستكشاف العالم الصغير داخل الذرة، نتج عنها رؤى جديدة عن طبيعة الفضاء على أدق المقاييس بالتوازي.

لم يتوقع غالبيتنا الصورة التي رسمتها لنا الخريطة الزمكانية؛ تلك الصورة التي

(1) جمع تنين، وجملة «هناك تَنانين» كانت متداولة بين رسامي الخرائط في القرن السادس عشر، تطلق على المناطق الخطيرة غير المستكشفة كنوع من تحذير الناس من ارتياد تلك المناطق اعتقادًا منهم بوجود مخلوقات أسطورية تقبع في هذه المناطق. (المترجم)

قدمت لنا منظورًا جديدًا عن كيف لحدث تخليقي واحد أن يُخَلِّق بلايين المجرات، والثقوب السوداء، والنجوم، والكواكب؟! وكيف للذرات أن تتجمع -سواء هنا على الأرض، أو ربما في عوالم أخرى- لتكوين مخلوقات حية معقدة بما يكفي كي تتأمل في أصولها؟

هناك علاقة وطيدة بين النجوم والذرات، وبين الكون الكبير والعالم الميكروي الصغير. وهذا الكتاب يوضح -بدون التعقيدات التقنية- القوى التي تتحكم في وجودنا، أو بالأحرى، في الكون بأكمله.

إن نشوأنا واستمرار بقائنا على قيد الحياة مرهون بوجود كون معد بعناية، كون قد يكون أوسع حتى من الكون الذي يمكننا ملاحظته فعليًا.

الفصل الأول
الكون والعالم الصغير

الكون والعالم الصغير

«إن الإنسان لينتمي -على نحو معقد- إلى تلك الحقيقة الكليّة الكاملة، ما ظَهَرَ منها وما خفي؛ فالبلانكتون(1) بوميضه الفسفوري في البحر، والكواكب الدوارة، والكون المتمدد.. كلٌّ ذلك يرتبط ببعضه عبر خيط الزمن المرن، ما يجعلنا في حاجة إلى أن ننظر -على طريقة الأمواج- ابتداءً من أحواض المد إلى النجوم، ومن النجوم إلى أحواض المد مرة أخرى».

السجل من بحر كورتيز، جون ستاينبك John Steinbeck

ستة أرقام

تدعم قوانينُ الرياضيات نسيجَ كوننا، ليس فقط على مستوى الذرات، بل على مستوى المجرات والنجوم والبشر كذلك. تحدد خواص الذرات -أحجامها وكتلها، وأعداد الأنواع المختلفة منها، والقوى التي تربطها ببعضها- كيمياء عالمنا اليومي، ويعتمد وجود الذرات نفسها على ما بداخلها من قوى وجزيئات، أما ما يدرسه الفلكيون -من كواكب ونجوم ومجرات- فتتحكم فيه قوى الجاذبية، وكل شيء يحدث في حلبة كون متمدد، جُبِلت فيه خصائصه لحظة الانفجار الكبير.

يتقدم العلم بتبيُّن الأنماط والتتابعات الموجودة في الطبيعة؛ حتى يتسنى تضمين ظواهرَ أكثر فأكثر داخل تصنيفات وقوانين عامة، ويهدف واضعو النظريات إلى الإحاطة بجوهر القوانين الفيزيائية في مجموعة موحَّدة من المعادلات، وفي أرقام معدودة، لا زال الطريق طويلًا، لكنّ ما تحقق من تقدم هو شيء مذهل.

يتحدث هذا الكتاب عن ستة أرقام، يبدو الآن أنها ذات أهمية خاصة وكبيرة؛ يتعلق رقمان من هذه الأرقام بـ(القوى الأساسية)، ويحدد رقمان آخران (حجم

(1) أو (العوالق)، وهي مجموعة من الكائنات الحية التي تعيش في المياه العذبة والمالحة، وتعتبر أساس العديد من الشبكات الغذائية.

وصاحبة الخمسين فيها منافع
ونعم متاع للمقاد يقيدها
وصاحبة الستين تغدو قوية
على الدين والإسلام صلبا عمودها
وإما لقيتم بنت سبعين حجة
هرماً فقل ها خبية يستفيدها
وذات الثمانين التي قد شقشقت
من الكبر الفاشي وناش وريدها
وصاحبة التسعين فيها أذالها
وتحسب أن الناس طراً عبيدها
وإن مائة أوفت الأخرى فحينها
مجدتها دون قصور عمودها

فقالوا: ما عرفت ما في نفوسنا، فوسع في اللذة بهن إلى ذات الخمسين ولم يعب الستين. وقال غيره وخالفه في ذلك:

مطايا السرور بنات العشر
إلى العشرين ثم قف المطايا
فإن زادت على العشرين تسعاً
وواحدة فتلك من الرزايا

فضيق ولم يجعل بعد العشرين فيهن مستمتع، فبينهما اختلاف كثير كما يروى، وقد رتبت على أسنانهن على ست سنين ترتيباً متوسطاً، لا ينكره ذوو التحقيق، ولا يجهله صاحب النظر الدقيق، فقلت: بنت ست سنين وليدة لا التذاذ بها ولها؛ تزوج النبيّ صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها، ولم يدخل بها حتى بلغت

تسع سنين، فإذا بلغت اثنتي عشرة سنة فهي مراهق كاعب، صار لها ثدي كالكعب وهو أول الشرافة وهي الكاعب.

ثم هي من ثلاث عشرة إلى ثماني عشرة فتاة ووردة، وهي التي في ريعان شبابها وطراوة حسنها وبهجتها، وتسمى العاتق وهي التي في أوّل بلغتها.

ثم هي من تسع عشرة سنة إلى أربع وعشرين سنة رداح، وهي التي قد امتلأت بشبابها ونعم جسمها وعظمت عجيزتها، وتوسطت في أشدها لأن الأشد ما بين خمس عشرة سنة إلى الثلاثين.

ثم ومن خمس وعشرين سنة إلى ثلاثين في أنها أشدّ همة وذبول عيناها وامتلاء جسمها ونعومة بشرتها، فهي بين الشابة والنصف، وهي إلى الشباب أقرب لأنها لم تسلب رونق الشباب، فهي السمخة الدعلة أي الضخمة لأن الشحم أكثر ما يركب لمن هذه سنها، وقد قبل لمن يركبه الشحم قبل الثلاثين لم يركبه بعدها.

ثم هي من إحدى وثلاثين إلى ست وثلاثين النصف، وهي ليست بالشابة ولا بالعجوز، وقد يظهر في رأسها الشيب وحواجبها ولم يكلفها إلا الخضاب، وإنما سميت نصفاً لأنها قد تنصفت العمر الذي قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «**أعمار أمتي ما بين الخمسين إلى الستين**»(١) فهي استدبرت الثلاثين.

وثم هي من سبع وثلاثين إلى اثنتين وأربعين بين العجوز والنّصف، وهي إلى النصف أقرب لأنها في الاستواء وهي أربعون

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ج ٥، ص ٥٥٣، وورد في المستدرك على الصحيحين، ج ٢، ص ٤٦٣، ح ٣٥٩٨، وفي سنن البيهقي الكبرى، ج ٣، ص ٣٧٠.

سنة، غير أن الشيب قد وخطها وخطاً يحتاج إلى أخضبة. ومنهن من يمهلها الشيب زماناً بعد ميقاته، ومنهن من يشيب قبل ميقاته.

ثم هي من ثلاث وأربعين إلى ثمان وأربعين عجوزاً تكاد لأنها تغير من خضب شعرها وأطرافها وكثرة التطيّب ومواراة الكبر وستره بذلك، وتكره أن يقال لها كبيرة وأنت عجوز.

ثم هي من تسع وأربعين إلى أربع وخمسين عجوز قران، لأنها تعلم أن الكبر قد أثّر فيها تأثيراً لا يمكنها جحده، فتستجهل إن حمدت، فإن كانت لا زوج لها وعرض عليها الأزواج أظهرت أنها قد صارت كبيرة لا يصلح لها الأزواج، ليقال لها: ما أنت بكبيرة، ويعجبها تكرار ذلك عليها والإجماع عليها بالتزوج.

ثم هي من خمس وخمسين إلى ستين عجوزاً خباراً لأنها ليس لها حديث إلا ذكر شبابها والإخبار بما كان في ابتداء عمرها، ولا خير فيها للأزواج، غير أنها إن كانت صالحة صلحت للحفظ، وإن كانت فاسدة صلحت للقيادة والفساد. وقد نظمت في ذلك أبياتاً فقلت في المعنى:

بـنـت سـت لا لـذاذة عـنـدهـا
ولم تـخـل مـن لمس الـضـجـيـع تـهـاب
وفـي سـتـة الأعـوام مـن بـعـد سـنـهـا
يـتـمّ مـنـهـا الخلـق فـهـي كـعـاب
وفـي سـتـة بـعـد اثـنـتي عـشـرة مـضـت
تـكـمـل مـنـهـا بـهـجـة وشـبـاب
وفـي سـتـة مـن بـعـد فـيـهـا أشـدهـا
وفـيـهـا لـذاذات الـنـفـوس تـصـاب

وستة أعوام تصير بها إلى
ثلاثين عمراً ليس فيه معاب
وفي ستة منها لقد خط شيبها
فهمتها بعد الخضاب خضاب
فإن عمرت من بعد ذلك ستة
وفارقها محبوبها فصواب
وإن هو ماداها إلى الشيب بعدها
مجاملة منه لها فمصاب
وإن دخلت في سنة تنتهي بها
إلى عدد الستين فهو عذاب

فهذا ذكر اختلافهنّ في الأحوال. وأما اختلاف أحوالهن في الشهوات، فمنهن الشفرة وهي التي شهوتها ما بين شفريها طارقة، وعلامتها أن تكون تتململ عند النيك، وتئن وتحب الأير القصير الجليل، وتستحسن حكّ الشفر به وتنزل بذلك وإن لم يولج الرجل معها، فإن أولجه معها أو رهز أخرجت أيره بيدها وفحست به بين الشفرين، ولا تستلذ بالرهز، والنيك على جانب أحب إليها من الاستلقاء، ولا يؤمن عليها من السحاق.

ومنهن القعرة، وهي التي شهوتها في قعر حرّها، وعلامتها أن تكون تحب كثرة الرهز وشدّته من الرجل وترهز معه أيضاً، وتحب الأير الكبير الطويل الصليب الغليظ، وتختار من النيك الشلق، وهو أن تستلقي المرأة على ظهرها، ويجلس الرجل بين رجليها مقرفصاً على أصابع رجليه، ويرفع فخذيه منبسطين وترفع فخذيها منضمتين، ويجعل عضديه تحت مثنى ركبتها، ويرسل ساقيها خلف عضديه وإن شاء جعلها على عاتقيه وأمسك بيده خاصرتها

أو عضديها، وإن كان مفرط طول الأير وهي قصيرة وجدت لذة أيره في الرحم، فليخالف بين فخذيها فإن ذلك اللدغ يهون عليها بانضمام الفرج، فإن كانت سمينة عظيمة الفخذين والبطن، أمال فخذيها على بطنها شيئاً قليلاً ليخفا عليه ويبرز له فرجها، ويكون إمساكه بإليتيها لأن كبر بطنها وعظم فخذيها يبعدان مسافة خاصرتها منه، ولا يطرح فخذيها على فخذيه فيمنعانه من الاستمكان من الرهز.

وهذا الباب دون الباب الذي يسمى الأصمدل، وهو أن تستلقي المرأة على ظهرها وتجعل تحت عجزيها وسادة ترفعها بها، ويجلس الرجل بين رجليها على رؤوس أصابعه، ثم يلصق فخذيها بصدره غاية ما يمكنه، ثم يدخل يده تحت كتفها ويثني أصابعه على عاتقها ويولجه معها ويجذبها إليه عند الرهز، وهذا فيه مشقة على المرأة لأنه إذا ألصق فخذيها بصدرها مع ارتفاع عجزها تقلص الشفران وقرب الرحم، فلا يبقى للرهز مسافة ولا للأير مجال، فيشق تصادم الأير والرحم عليهما جميعاً. ولا يستحب هذا الباب إلا لمن كان أيره صغيراً أو مسترخياً.

ومنهن من تلتذ بحك الأشفار وبالإيلاج جميعاً، ويجد الرجل شهوتها موافقة له من أين ما طلبها.

ومنهن السريعة الإنزال ولا تمل طول النيّك، ولا تكرهه بعد إنزالها، ولا تزال تنزل مرة بعد أخرى ما زال الرجل مقبلاً على نيكها، فإذا تركها عقيب إنزالها وقبله سكنت شهوتها، وهذه صفة محمودة.

ومنهن من لا يحسّ الرجل بإنزالها ولا تعرفه هي، بل شهوتها

مع الرجل مستمرة ولذتها به دائمة، فإن سكنها سكنت، وإن هيجها هاجت. وهذه أيضاً غير بعيدة الصفة من التي قبلها.

ومنهن من لا تحب النيك بعد أن تنزل إلا أن تكون سريعة الإنزال أو بطيئة.

ومنهن البعيدة الإنزال البطيئة انحدار الماء، فهذه لا تعتد لنايكها بما يفعله قبل إنزالها ولو أذهب لها نفسه في النيك حتى تلقاه شهوتها وأيره صليب ورهزه شديد متتابع، فإن صبر لها وتثبت لها حتى يتفق إنزاله وإنزالها، فهو محبوبها وغاية مطلوبها، وإن قهقر وسلم كرهت قربه وفركت[1] حبه ولو أنه يوسفي الجمال، أو قاروني المال، وربما حملها ما تكرهه منه على ما يكره منها، فهذه الخطرة العراك، الصعبة الإدراك، التي لا يقوم لها إلا الفارس الشهم الممارس الذي يخشاه الكرى ولا يمل من طول السرى. فينبغي لنايك هذه أن لا يبذل لها في أول النيك موجوده، ولا يستفرغ لها مجهوده، ويسول نفسه بالدلال واللّين والقوة والتهوين، فإنه وإياها كفرسي رهان، يجريان في الميدان لغاية واحدة، فالفارس الذكي بالسباق وبطباع الخيل، يأخذ فرسه جرياً وخباً[2] وشداً وعنقاً[3] حتى يقارب الغاية وفرسه مستحم فيما طلبه من الجري في وقت الحاجة إليه وحده فيه. والفارس الغر الجاهل بالسبّاق يستفرغ جهد فرسه في أول وهلة، فيقطعه في أول الغاية، فإذا طلبه عند التهاب جري الخيل لم يجد فيه شيء. وصاحبة هذه الصفة لا تمكّن الرجل من نفسها بعد إنزالها، ولا تطاوعه على نيكها فينبغي أن لا يكرهها

(١) **فركت**: فركته تفركه: أبغضته.

(٢) **الخب**: هو ضرب من العدو، وقيل: هو أن ينقل الفرس أيامنه جميعاً وأياسره جميعاً.

(٣) **العنق**: ضرب من سير الدابة والإبل.

على المعاودة عقيب إنزالها، بل يمهلها ويستدر شهوتها بالضمّ والتقبيل والمداعبة وبما تراه يعجبها، حتى يحمى وطيس فرجها.

ومنهن الرهّازة التي تتولى أمر الرهز بنفسها، ولا تتكل على رهز الرجل، ولا تشتفي به وإن جهد لها، ويجب أن يسلّم لها أيره تأخذ منه حسب شهوتها من الرّهز عليه، وهذه تكون قليلة الغنج، مشتغلة بلذتها. وأكثر ما يكون ذلك في الحبشيات، ورأيت الصغيرة منهن التي لم تستحكم شهوتها للنيك، ترهز على الأير رهزاً غير مرتّب، فعلمت أنه فيهن طبع.

ومنهن من [تمسك][1] كل أير الرجل وتضغطه بفرجها حتى لا يكاد ينزعه إلا بشدّ.

ومنهن النضاحة التي لا تنضح بمائها عند الإنزال حتى تملأ ما جاوز فرجها وفرج الرجل، ويكون له ذمعاً كدمع أير الرجل، ويحس الرجل بدفعه على أيره من داخل الفرج، فمن الناس من يكره ذلك وينفر منه لأنه يكثر رطوبة الفرج، ومنهن من تستحسنه وتقول: هو يزيد في شهوة الرجل ويشجعه على قوة النكاح، وهو دليل على حسن قبول المرأة للنيك والالتذاذ به.

ومنهن الربوخ، وهي التي يغشى عليها عند إنزالها، وذلك لشدة اللذة التي تغشى على قلبها وتعمّ جوارحها، فلا تفيق إلا خجلة فاترة الأعضاء، وهي صفة مستحبة في المرأة، فالرجل الخبير بأحوالهن إذا أحسّ بإفاقتها عاودها للنيك، فإذا أفاقت ووجدت حلاوة النيك انتعشت قوتها وزال خجلها، ثم إن شاء استمر وإن

(١) مكان هذه الكلمة بياض في المخطوط.

شاء ترك، فهذه كشارب الخمر لا يدفع خمار السكر عنه إلا إعادة الشرب.

وحكي عن بعض القضاة أن رجلاً اختصم هو وزوجته بين يديه فوجب عليها الحبس، وكانت جميلة ففتن بها القاضي، فلما مضى زوجها أمر القاضي إلى السجانة أن تحضرها إليه، فأحضرتها وكانت ربوخاً، فناكها القاضي فرداً فغشي عليها، فأنكر القاضي حالها وعظم عليه، فعالجها بكل ما يعالج به المغشي عليه فلم تقف، فأمر بحملها إلى السجن وأمر بإحضار زوجها، فلما حضر قال له القاضي: إن السجانة قد جاءت إليّ الساعة، وذكرت أن امرأتك أصابها أمر عظيم، فاذكرها بالعلاج والقصد، فعرف الرجل القصة، فقال: أصلح الله القاضي، إنها من قوم موسى لا تصبر على طعام واحد، وأشار إلى القاضي بإصبعه، فخجل القاضي فأغضبه ذلك الأمر، فأمر بحبسه مع زوجته إلى الليل، ثم أمر من أصلح بينهما وأخرجهما.

ومنهن من لا تريد النيك إلا في حجرها، فإن تمادى الرجل على نيكها في الحر أخرجت أيره بيدها وأدخلته في حجرها، وما أظن هذا إلا من باب الابنة تعتري النساء والرجال، فنسأل الله العافية.

ومنهن من لا يستطيع الرجل أن ينيكها ولا تمكنه من نفسها، ولا تقبل لها عليه شهوة حتى يضربها ويؤلمها، ومن الناس من يظن أن ذلك كراهية للنيك أو بغضاً للرجل، وليس كذلك وإنما هو طبع لازم.

ومنهن السحاقة التي لا تريد الرجال، فهي مشتهرة على نيك النساء بالسحق، وسيأتي ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

ومنهن من ليس للشهوة عليها سلطان، وذلك إما لشرف نفس

أو عظم همة أو اشتغال بعظيم من أمور الدنيا، أو لطهارة قلب وتقى واشتغال بأمور الآخرة. وكثرة الهم تميت الشهوة من الرجال والنساء.

وفروج النساء أيضاً تختلف، فتكون شهواتهن في النكاح وفي كبر الأير وصغره على حكم اختلاف فروجهنّ. فمنهن المرتبع المرتفع، الذي إذا قامت المرأة وضمت فخذيها كان كله بارزاً من جميع جوانبه، ويكون صغير الشق، يسمى القلهمي، وصاحبته لا تحب الأير الكبير ولا تصبر عليه، ويمكن نيكها من قيام من غير أن ترفع رجلها، ويوافقها من الأيورَ الصغير الذي يسمى مليدح، وهذه الصفة في النساء قليل.

وأخبرني رجل من العجم أنه رأى جاريتين كل واحدة منهما فرجها قريب من صرّتها، وهو مدوّر كأنه دائرة بيكار، وشقّه في وسطه غير مستطيل. وأعرف امرأة لا فرج لها، وإنما لها ثقب كثقب الإبرة تبول منه، ولا أشفار لها ولا ركب.

ومنه المثلث العريض الجبهة المنضم الأسفل، الذي إذا قامت المرأة لم يظهر من شقّه إلا القليل، ولا يمكن نيكها من قيام إلا برفع إحدى رجليها، ويسمى الجباهي، ويوافق صاحبته الأير المتوسط الذي يسمى القباعي.

ومنه الثاني الجبهة المنحدر إلى داخل الفخذين، الذي إذا قامت المرأة لم يظهر منه غير نتوء جبهته ويسمى الدحاسي، ولا تحب صاحبته إلا الأير الطويل الذي يسمى الدلاوي.

ومنه المشنوخ، وهو الذي ليس لركنه حجم ولا لشفريه أشداق، فإذا قامت المرأة لم يرى غير الشق مستطيلاً.

ومنه المكنوف وهو الذي يعلو عليه شحم الفخذين إذا سمنا فيغطيانه من جانبيه.

ومنه الأغم وهو الذي ينزل على جبهته البطن إذا كبرت فتغطي أكثره. ومنه المجبوب، وهو الذي جب شفراه أي قطعا، ولم يبق منه غير الرّكب مشرفاً وهو مكروه. ومنه المرقوق الذي يسمى المشكوك، وهو أن تقطع لحم الشفرين من داخلهما عند الختانة ثم يلحمها في حال الجرح، فيلتحمان التحاماً شديداً ولم يبقَ في الفرج غير ثقب صغير في أسفله لخروج البول، فتكون المرأة إذا بالت جرى البول من مخرجه في ذلك الملتحم منهبطاً إلى ذلك الثقب فيخرج منه. ومنهن من يكون ثقب البول مرتفعاً مقابلاً لمخرجه من الفرج وصاحبته تسمى الرقباء، وهذا كله يعتمده أهل زيلع ومجاوروهم من الحبشة، وقد يجمعون بين الحب والريق فيكون أقبح شيء في النظر وفي النكاح، وهم يفتخرون به ويرون تركه عيباً وعاراً عندهم.

واللحم الذي داخل الفرج يسمّى الكنين، ولحمه الظاهر يسمى الزرنب، والركب بالتحريك وهو منبت العانة إلى منبت البطن، والاسكتان جانبي الفرج وهما القدمان والشفران، والخفض للجارية كالختانة للغلام، والخاتنة: الخافضة، والمأسوكة من النساء هي التي تخطىء خافضتها موضع الخفض منها، فتصيب الاسكتين أو أحدهما فيشينهما. وقد تسهو عنها الخافضة فيلتحم من فرجها ما يلي البصر عند خفضه، وهي الرتقاء الذي لا يصيب الرجل نكاحها حتى يفتح ذلك الموضع بالموسى. والموضع الذي بين الإست وبين موضع الاسكتين يسمّى العجاز ومقداره عرض إبهام، وقد يكون أكثر من ذلك وأقل على حكم ارتفاع الفرج ونزوله.

وحكي أن امرأة من أزواج بعض الرؤساء كانت في سفر، فأشرفت من محفتها[1] فرأت رايض دواب وهو على مهر يروضه، ورأت ما يعانيه من ناحيته، فقالت له: ويلك ما وجدت شيئاً تعيش به غير عناء استك؟ فقال لها: جعلت فداك ما بين ما أعيش به أنا وما تعيشي به أنت غير عرض إصبعي هذه ـ وأشار بإبهامه ـ فقالت لخدمها: خذوا ابن الفاعلة، فركض مهره وفاتهم.

ومنهن أيضاً الملتحمة: الضخم العظيم المشرف للأنظار، الكبير الأشفار، الطويل الشق، البعيد ما بين الطرفين، الخصيب المسك الذي يشرف وسطه على طرفيه وهذا أعجبها وأفضلها؛ ولا خلاف في تفضيله على كل ما تقدم ذكره قبله، وهو الذي وصفه الخبراء ومدحه الشعراء، فأول من قال فيه النابغة الذبياني:

وإذ لمست لمستجثم جاثم
متحيراً بمكانه ملء اليد
وإذ طعنت طعنت في مستهدف
رأى المجسة بالعس مفرقد
وإذ نزعت نزعت من مستحصف
نزع الحرور بالرشا المحصد

وقال دوقلة:

ولها هِنّ ذاب محسّته
ضيق المسالك حسوة الوقد
فإذا طعنت طعنت في لبد
وإذا نزعت يكاد ينسدد

(١) المحفّة: مركب كالهودج إلا أن الهودج يقبب، والمحفة لا تقبب.

وقال ابن الرومي:

لــهـــا حِــرٌ تــســـتــعـيــر وقـــدتــه
مــن قـلـب صـبّ وصـدر ضـيّـق جـنـق
كـــأنمــــا حـــره لحائــــر بــــه
مــا ألــهــب فــي حــشــاه مــن حــرق
يــزداد ضــيــقــاً عــلــى المراس كــمــا
يـزداد ضـيـقـاً عـلـى أسـيـوطـه الـوهـق

وقال آخر:

ولــهـــا إذا شــيـــل الإزار مــكــعــب
كـالـقـعـب كـب بـوجـهـه لم يـرفـع
فـــكـــأنـــه إذا لاح جـــبـــينه لـــبن
ضـربـت بـفـأس غـيـران لم تـقـطـع
فـإذا وضـعـت عـلـيـك كـفّـك خـلـتـه
ثـديـاً تـكـامـل نـاهـداً لم يـخـشـع
وإذا طـــعـــنـــت يــعــض عــضــة أدرد
وإذا نــزعــت يمــص مــصــة مــرضــع
وإذا عـلـلـت وقـد نـهـلـت وجـدتـه
كـالـنـار فـي لـهـب الحريـق الأسـقـع

وقلت من قصيدة:

وجــائــم بمــلء كــف الـقــابـض المجـتـهـد
مــســرفــة أقـطـاره كــالـقـصـبـات الـرّكـد
كـــأنـــه مـــن تـــرف خـــد غـــلام أمـــرد
مـسـتـحـصـف المسلك لم يـكـن سـهـل المقـصـد

كـأنـني أطـعـن إذا طـعـنـتـه فـي زرد
تُـسـمـع عـنـد رهـزه شـقّ ثـيـاب جـدد
لـه إذا مـلأتـه عـضّ كـعـض الأدرد
كـالـثـدي من مـرضـعـه بـين شـفـا الـولـد
تـوقـدت حـافـتـه كـالـنـار فـي الـتـوقـد
يـا طـيـب ذاك الـنـار ما أطـيـبـها فـي جـسـد

وقال آخر:

ونـاتـىء الجـبـين شـديـد الـبـيـاض
كـثـيـف الجـوانـب مـثـل الـقـمـر
لـه وجـه كـضـرام الحريـق
يـكـاد يـحـرق جـلـد الـذكـر

والأشعار في وصفه كثيرة يطول استقصاؤها.

وحكي أن أبا النجم الراجز دخل على خالد بن عبد الله القسري، وعنده العريان بن الأهيم النخعي، وهو يومئذٍ على شرطته؛ وكان العريان أشط[1] وهو الكوسج عظيم الهامة، وعند خالد جارية من مولدات السند كأنها سبيكة ذهب. فقال خالد: يا أبا النجم شبّه هذه الجارية، فإن أجدت في وصفها فهي لك فقال:

جـاريـة إحـدى بـنـات الـزطّ
كـأن تحـت ثـوبـهـا المـنـعـط
إذا بـدا مـنـهـا الـذي يـغـط
شـط رمـيـت فـوقـه شـط

(١) أشط: جاوز القدر في ضخامته.

جـــعـــد الـــســـمـــال حـــســـن المخـــط
لم يـــبـــر فـــي الـــبـــطـــن ولم يـــخـــط
فـــيـــه شـــفـــاء مـــن أذى الـــتـــمـــطـــي
كـــهـــامـــة الـــشـــيـــخ الـــيـــمـــانـــي الـــشـــط

وأومأ بيده إلى العريان وقال: قبحك الله، ما وجدت شيئاً يشبه ركنها غير هامتي؟ فضحك خالد وقال: خذها يا أبا النجم، وكان خالد بعد ذلك كلما لقي العريان وأبا النجم ضحك.

وحكي أن ثلاث جوارٍ أخوات اجتمعن، فقلن: تعالين نصف أحرارنا، فقالت الكبرى: إن حرّي شقه الجراب، يضل فيه مائة غراب، ومائة من إبل عراب.

وقالت الثانية: إن حري لحسن مشقه، ولا يزال نايكه يدقّه، كفاغر يرجو الذي يزقه.

وقالت الثالثة: إن حري لحسن معشوق، ناهد جبهته محلوق، يظلّ فيه أيره محروق.

ومنه الأزب الكثير الشعر الخشن النبات، وهو عندهنّ من الصفات المحمودة، ويسمينه السلطاني. وأكثر ما يحسن شعره الحلق بالموسى، فإن من النساء من تكره النتف لشعر فرجها وعانتها وتقول: هو يرخي جوانبه ويرق جلده فتحلقه، وهذا يعتمده نساء اليمن وما يليها. ومنهن من تتألم بالنتف فتحلق هرباً من النتف فيخشن. ومنهن من تعتمد حلقه بالنورة والزرنيخ، وذلك أكثر لتخشين الشعر وتكثيره، غير أنها تحلقه حلقاً بليغاً حتى يكون ذلك الموضع كأنه لم ينبت عليه شعر، ثم يطلع في سرعة أخشن ما يكون، وتكرار ذلك يكون خشونة.

ومنهن من تكون خشنة نبات الشعر من غير حلق، وإذا تعودت

المرأة حلق شعر فرجها صعب عليها نتفه بعد ذلك، فلذة من يحب الكس المشعر أن تكون المرأة تنتف من خمسة أيام، ويكون هو قد حلق من أمسه فيلتقيان ولكل واحد من الشعرتين زويرلة حثاثة وتشويك، فإذا أجدّ بهما الرهز تمتعا من شعرتيهما حساً طريفاً. وقد تتلازم الزويرات تلازماً لطيفاً، وإن كانت المرأة محلوقة الفرج مثل الرجل كان أقوى لذلك الحس بينهما، فمما قلته في ذلك:

غـايـة مـا تـشـتـهـي نـفـسـي
مـن الأمـانـي لـقـاء كـس
إذا الـتـقـى شـعـر شـعـرتـينا
مـن نـتـف خـمـس وحـلـق أمـس
حـسـبـت فـي الـشـعـرتـين مـنـا
خـوصـاً عـلـتـه يـد بـفـحـس

وقال آخر:

الـزب فـي الـعـبـرة أنـه زب كـلـب
زب يـحـنّ إلـى ذات كـس أزبّ
كـأنـه رأس عـود مـن الجـمـال حـدب

ومن الفروج أيضاً ما يكون شعره رقيق لا حثاثة فيه. ومنهن من لا ينبت عليه الشعر البتة، ولا فضيلة له ولا لذة فيه عند النكاح لأن الغالب عليه عدم الحرارة، والنساء تعيّبه وتسميه الصفعان، ويشبهنه بالرجل الكوسج. وشعر الفرج من المرأة يرهف كلما كبرت ويرق حتى يتلاشى ويذهب.

ومحبتهن في كبر الأير وصغره على حكم ارتفاع الفرج ونزوله، فكلما ارتفع الفرج كان رغبة المرأة في الأير الصغير، وكلما نزل

كان رغبتها في الطويل أكثر، وإذا اغتلمت المرأة بطل الاختيار والتذت بما وجدته من الرجل من كبير أو صغير أو غيره. والرقاق أصبر على ممارسة النيك ودوامه وعلى كبر الأير من السمان.

وحدثت عن رجل من الجند أنه دخل مدينة صنعاء فأقام بها وهو عزب، فاحتاج إلى النساء فسأل عجوزاً كانت عنده في البيت أن تنظر له امرأة يتزوجها، فعرضت عليه عدّة من النساء على اختلاف صفاتهنّ فكلهن ينفرن من عظم أيره ويستغثن ويهربن منه، فلما قلّ نفعه بهنّ قال للعجوز: اجتهدي لي في تحصيل امرأة تكون قصيرة الرقبة إلى غاية، فوجدت له امرأة كما وصف، فوجدت له امرأة فنفعته ولم تجد منه مشقة.

واعلم أنه ليس كل الرجال يوافقه نيك المرأة على ما يحب أو تحب هي، وإن كان واجداً للباه وقوة الآلة لأن من الرجال السمين والبطين والضعيف الجسم وغير ذلك، وقد تكون هي كذلك فيتعذر على الرجل بعض مراده لسبب منه أو منها، فإذا كان الرجل خميص البطن خفيف العجز مجدول الخلق غير مسترخي اللحم مع وجود الباه، فهو الجواد الذي لا يكبو، والصارم الذي لا ينبو، فإذا التقى الممشوق والممشوقة تساويا وباقي العمل، وتكافآ في الحركات كيف شاءا.

وإن التقى الممشوق والسمينة أمكنه نيكها على كل ما يمكنه من الممشوقة من إلقائها على ظهرها وقلبها على أربعها، فإن ناكها على الجنبين افترش فخذها ورفعها إلى أضلاعه غاية ما يكون، حتى تجاوز خاصرته ويتوسد عضدها، وتكون وسادتها عالية لئلا يعلو عجزه على رأسه من سمن فخذيها، فإذا كانت عظيمة البطن مفرطة سمن الفخذين والوركين، فأحسن أحواله أن يلقيها على

ظهرها ويرفع فخذيها على بطنها، أو يجلس مقرفصاً على أصابع رجليه، ويلزم بكفيه خاصرتها ليجذبها إليه بها، فإن لم ينل خاصرتها ومنعه من ذلك كبر بطنها وعظم فخذيها كان لزمه بإليتها أو بذراعيها، فإن لم يثق من ثبوت فخذيها على بطنه أمسكها بكفيه، أو لوى بيده عليهما وهما مركوزتان، ولا يركزهما على فخذيه فيثقلا ويمنعانه من قوة الرهز كما قيل:

يــرفــعــهــمــا الــردف إذا ألــقــيــت

لــلــنــيــك مــثــل الجبــل الــراســب

فــلــو تــراءى بــين أفــخــاذهــا

ســقــاذف فــي آخــر الــقــارب

وإن شاء أضجعها على أحد جانبيها، ومدّ رجله السفلى وجلس على فخذها مقابلاً لحرّها بأيره، ورفع رجلها العليا مثنية ركبتيها، ولوى على فخذها وساقها بيده التي تليها وأولجه فيها، ويكون مقرفصاً على أصابع رجليه لترتفع اليتاه عن فخذها ويتمكن من رهزه. وإن كان كبر بطنها من حبل، فالوجه فيه أن يضجعها على أحد جنبيها، ويضع أحد فخذيها على الأخرى ويرفعهما إلى بطنها دون الإلصاق، ويجلس مقرفصاً خلف عجزها مقابلاً بأيره لحرها، فإذا أراد التمكن من إدخال أيره كله، فليضع قدمه التي على رجليها على فخذيها، ولا يمتنع هذا الوجه في نيك غير الحبلى غير أنه أسلم لذوات الأحمال.

وإن التقى السمين العظيم البطن والممشوقة، فأحسن ما يمكنهما في العمل أن تتولى هي الأمر، ويستلقي الرجل على ظهره مضموم الفخذين، وتجلس هي على أيره مفتوحة الرجلين، وتضع يديها على الفراش ويمسك هو عضديها بيده، فإن كانت ماهرة في الرهز،

رهزت طالعة ونازلة، وإن كانت غير ماهرة فليحرك عجزها بإحدى فخذيه من خلف جائياً وذاهباً، على أن استلقاء الرجل عند النكاح مكروه له، فربما رجع المني وأورثه ضرراً، وإن أراد إلقائها على ظهرها وجلس مقرفصاً بين رجليها وهما مفتوحتان بعض الانفتاح، وتكون أليتاه بين فخذيها وقدمه من ظاهرها، ويحتمل له المشقة في وضع بطنه على بطنها وضغطها بها، ولا يمكنه في هذه الحالة إدخال أيره كله. وقريب من ذلك أن يضجعها كما تقدم في نيك الحبلى، ويضع قدمه على فخذيها وبطنه على أليتها العليا.

وإن التقى السمين والسمينة العظيمين البطينين، فالعناء والمشقة عليهما جميعاً، فأحسن ما يمكنهما أن تبرك هي على ركبتيها وذراعيها ليكون عجزها أعلى من ظهرها، ثم تفحج رجليها ويقوم هو من خلفها على ركبتيه، ويحمل بطنه بيديه فيضعها على عجزها، ويدخل أيره ويمسك فخذيها بيده أو خاصرتيها، وإن لم ينل بطنه عجزها وضع تحت ركبتيه وسادة أو شيء يرفعه. ولا أرى لهما وجهاً غير ذلك، لأنه إذا ألقاها وجلس بين رجليها مقرفصاً التقى بطنه وفخذها على أيره فلا يكاد يظهر، وإن ظهر منه شيء لم يتمكن من إدخاله فرجها لالتقاء البطنين وانضغاط الفرج لسمن فخذيها، فإن هو أضجعها على أحد جنبيها وجلس مقرفصاً خلف عجزها، ووضع بطنه على أليتها العليا، وأطاقت على رفع فخذيها إلى بطنها ليبرز له فرجها من خلفها، أمكنه إدخال أيره بعض الإمكان، وإن عجزت عن رفع فخذيها لم يبرز له فرجها وامتنع عليه نيكها. وإن كانا سمينين مخمصين أمكنهما أكثر مما يمكن غيرهما، إلاّ أنهما لا يصبران على طول الممارسة، ويسرع إليهما التعب وعلو النفس.

فإن التقى الطويل المفرط الطول، والقصيرة المفرطة القصر، وأرادا التقاء الفرجين والفمين، فالأحسن لهما أن يلقها على ظهرها، ويضطجع هو بجنبها على أحد جنبيه، ويدخل يده السفلى تحت رقبتها، ويرفع فخذيها بيده العليا وهي مستلقية، ويستقبل فرجها بأيره من خلف عجزها، وهي مجموعة بين يديه من رقبتها وفخذها، فإن لم يجد من رهزه ما يرضيه، فليجعل فخذه العليا مركوزة فرهزه يقوى بذلك، وتكون يدها ممدودة تحت رقبته ويميل فمه إلى فمها. وإن أراد أضجعها على جنبها ودخل بين رجليها، ورفع فخذيها حتى يبلغا إلى أضلاعه من فوقه ومن تحته، فهو قريب من الأول، وينزل بين فخذيها حتى يستقبل فرجها بأيره من وراء عجزها، ويضم أليتها بفخذيه أو يأخذهما عند الرهز ويمسك رقبتها بكفه من خلفها. وإن أراد أفرشها فخذه ورفعها حتى تبلغ إلى أضلاعها، ورفع فخذها العليا فوق أضلاعه، ثم يرفع فخذه التي بين فخذيها مركوزة ليتمكن من الرهز، ولا بد له في جميع ذلك أن ينحني بعض الانحناء إذا أراد التقبيل مع العمل، ولكن بعد التمكن من الإيلاج.

وإن التقى القصير المفرط القصر والطويلة المفرطة الطول، فلا سبيل له في تقبيلها مع العمل إلا إن حملت له المشقة في ثلاثة أوجه:

الأول: أن تستلقي على ظهرها وتضع تحت عجزها وسادة عالية وتحت رأسها مثلها، وترفع فخذيها إلى صدرها غاية ما يمكنها، ولا يجلس هو مقرفصاً بل يولجه معها وينبسط على ذراعيه حتى يبلغ كفاه كتفيها، وتلوي هي بيديها وكفيها على ظهره، ويمسك هو بكفيها أو بما نال من شعرها أو رقبتها.

الثاني: أن يضطجعا على جنبيهما متقابلين وتفرشه إحدى فخذيها وترفعهما إلى أضلاعه غاية ما تطيق، ثم ترفع فخذها العالي أيضاً فوقه إلى أضلاعه، وتنحي هي إلى أن لا يمس صدرها صدره إلاّ بعد التمكن من الإيلاج ولزم الرقاب بالأيدي، وتضع عقبي رجليها على صلبه عند الرهز تجذبه بهما إليها.

الثالث: أن يستلقي على ظهره باسطاً رجليه وتكون تجلس على أيره، ثم تنكبّ عليه وتمدّ ركبتيها حتى تبلغا إبطيه، وتبسط ذراعيها من تحت وتمسك بكفيّها هامته حتى يمكنها وضع فمه على فمها، كل ذلك فيه مشقة عليهما. ويمكنهما من باب النيك ما أراد من غير تقبيل.

وإن كان القصير من حدب فالحدب أصناف، فمنهم الأحدب المنحني الظهر، السالم الصلب والرقبة، فهذا ينطبع مع القصيرة بعض الانطباع في العمل، ولا يمكنه ضمّها إلا إن ولّته ظهرها واستقبل حرها من وراء عجزها، وإن بركت على أربعها كان أطيع. وكذلك لو كانت حدباء مثل حدبته وهو صحيح، فإن لقي حدباء على مثال حدبته أمكنهما العمل كيف شاءا ما خلا الضم، فإن أضجعها على جنبيها متقابلين كان بينهما فضاءً مثلثاً؛ وكذلك لو استلقى أحدهما ولا بد لمن يستلقي منهما من شيء يسند به رأسه وظهره قدر ما يملأ الفضاء الذي بينه وبين الأرض.

وإن كانت حدبة الرجل من رقبته بحيث أن ذقنه موضوع إلى صدره، أمكنه العمل على كل ما يريده، والعناق ومخالفة الأعناق دون القبل، فإن كانت المرأة مستلقية له كان عند النيك كأنه يهددها بالنطّح، فإن كانت المرأة حدباء على مثال حدبته كانت منايكتها نطاحاً محضاً، فأحسن أحوالهم أن تبرك له على أربعها،

ويكون استعماله لها من خلفها، فإذا أراد العناق وضع كل واحد ذقنه على عاتق الآخر متخالفين، فإن كانت حدبة الرجل من ظهره كنصف الحرة، فهذا لا يكون منحنياً غير أنه كما قال الشاعر:

فــإذا مــا ألــقــيــتــه فــهــو صــحــن
وإذا مــــا قــــلــــبــــتــــه فــــمــــكــــبــــه

ولا بد أن يكون صدره منخسفاً، وحكمه في النيك وفي العمل حكم القصير الصحيح، إلا أنه لا يمكنه الاستلقاء، فإن استلقت المرأة وكانت قصيرة، كان على بطنها كالمكبة على الإناء، وإن كانت طويلة كان أشبه شيء بفأرة النجّار على الأسطوانة، وقلت في ذلك:

محــدودب جــمــعــت حــنــايــا ظــهــره
فــإذا بــدا لــك قــلــت جــلّ الــبــاري
سـألـتـه وهـو يـنـيـكـهـا عـن ظـهـره
مــــاذا فــــقــــال مــــحــــفــــة الأوزاري
فــكــأنمــا هــي ســاحــة مــبــســوطــة
وكــــأنمــــا هــــو فــــارة الــــنــــجّــــاري

وقلت أيضاً في معنى ذلك:

وأحــدب الــظــهــر مــلــوه صــلــف
قــد تــعــبــت مــن دونــه الــكــتــبــه
قــــام إلــــى غــــادة يــــراودهــــا
عــن نــفــســه وهــي مــنــه مــتــعــجــبــه

قالت فمن يحمل الذنوب[1] لنا
قال أنا فوق هذه الحدبه
قالت له وهي منه ضاحكة
يا فارة البخت دونك الخشبه

فإن كانت المرأة حدباء على مثال حدبته لم يمتنع عليها وجه من وجوه النيك، فإن أراد أحدهما الاستلقاء على قفاه فليوسد الحدبة بوسائد من جهاتها الأربع، أو يكون لها ثوب كتكوير العمامة، ويجعل فيه بحيث أن لا يصيب شوكة الحدبة مكاناً صلباً، فإن ذلك الموضع يسرع إليه الضرر، وعناقهما لا يمتنع، فإن كانت حدبة الرجل جارحة من ظهره وصدره أمكنه النيك كيف شاء غير الضم والعناق فإنه يصعب عليه وعلى المرأة جميعاً. ومما قلته في ذلك:

وأحدب لم يزل في النيك منهمكاً
كالكوز آخره ناب وأوله
قالت له حين ما رام العناق لها
وكفها منه فوق الحلق يشغله
أدخلت أيرك في كسي كعادته
فأير صدرك هذا أين أدخله

فإن كانت المرأة أيضاً على مثاله حدبتها من الظهر والصدر، فأحسن أحوالهما في النيك أن يضجعها على جنبها وينيكها كما تقدّم في نيك الحبلى لئلا تتصادم الحدبتان منه ومنها في إضجاعهما أو استدباره إيّاها مضطجعين. وإن استلقت ووسدت

---

(١) الذَّنوب: الدلو فيها ماء، وقيل: الذَّنوب الدلو التي يكون الماء دون ملئها، أو قريب منه ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب.

حدبة ظهرها ورفعت عجزها رفعاً عالياً وجلس مقرفصاً بين رجليها، فربما يبعد بين حدبتيهما، وكذلك لو بركت وسفل رأسها وعلا عجزها ـ وهو الوجه المسمى الكوري ـ وهذا حكمهما لو كانا أحدبين من الصدرين دون الظهرين. ولم أرَ أحدب البطن والظهر أو أحديهما إلا وفيه رهق[١] وصلف، وحسن الصوت من صفاتهن اللازمة. وأحسن ما سمعت في وصف أحدب قال بعضهم:

ورشـــق قـــد قـــربـــت أجـــزاؤه
لـيـكـون فـي بـعـض الـفـكـاهـة أطـبـعـا
قـــصـــرت أجـــاذعـــه وصـــار قـــذالـــه
فـــكـــأنـــه مـــتـــوقـــع أن يـــصـــفـــعـــا
فـــكـــأنـــه قـــد ذاق أول صـــفـــعـــة
وأحـس أخـرى بـعـدهـا فـتـجـمـعـا

وإذا كان الرجل منحنياً من صلبه وظهره منبسط، وهو الذي إذا قام فكأنه راكع، فالنيك على هذا صعب عسر، ولا يقدر على إدخال أيره كله لقرب فخذيه من بطنه وانضغاط أيره بينهما، فأحسن أحواله أن يقوم على قدميه ثمّ تأتي المرأة فتبرك تحته، ويحشو عجزها بين أفخاذه وتضع كفها على الأرض، وتبسط ظهرها تحت صدره بسطاً مناسباً مطابقاً له ليكون مثل البطانة له، ثم يدخل أيره ويرهز إلى خلفها على أيره لأن الغالب عليه ضعف الرهز. وهذا الباب يسمى الكوري مع الرهز له إن كان ضعيف الرهز.

والمقعد الزَمِن[٢] إذا كانت زمانته من ركبتيه وساقيه وكانت

---

(١) **الرهق:** جهل في الإنسان وخفة في عقله ويقال: سريع إلى الشر، سريع الحدّة.
(٢) **الزّمن:** رجل زمن أي مبتلى بيّن العاهة.

أوراكه وصلبه صحيحة، لم يمتنع عليه شيء من أبواب النيك والنكاح كما لم يكن فيه قيام وإن كان صحيح الوركين وله آلة وقوة باه، فلا طمع له في الرهز إلا أن تتولى العمل بنفسها.

واعلم أنه لا يمكن المتناكحين ما أرادا من أبواب النكاح إلا أن يكونا ممشوقين غير خافقي الأجسام والبطون، متساعدين على الحركات، فإن من النساء المطبوعات من يستلقي الرجل على صدرها وترفع إحدى رجليها، وتضع على قدميها سراجاً مملوء دهناً وتقد ذبالته[1] ويجامعها الرجل فلا يقع السراج ولا شيء من دهنه، ولا ينطفىء ولا يبطل العمل، وذلك من انطباع الرجل معها.

وقد وضع أهل الهند كثيراً في كتبهم من أبواب النكاح، وأكثرها لا لذة فيه، ومنها ما مشقته أكثر من لذته.

وأفضل النكاح عندي ما كان بين لذة العناق والقبل، فإنهما مما خصّ به بنو آدم دون سائر الحيوان، وفيهما من الالتذاذ ما لا ينكره أحد، وقد يكتفي بهما العاشق عن النكاح. وإذا تناهى العشق بالإنسان وأخرجه إلى التتيم[2] هانت عنده شهوة النكاح، واشتفى بالضم والقبل لما فيهما من الالتذاذ، فإذا اجتنبت لذة النكاح من بينهما تضاعفت.

ومن الناس من يتعود الاستمناء ـ وهو جلد عميرة ـ فيستلذه على النكاح ويتخذه عادة، وبعضهم يسميه الصلح وهو مكروه، وقد لعن في الحديث ناكح يده، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يُبعث يوم القيامة وأصابعه حبالى**»[3]. وأجازه بعض

---

(١) ذبالة السراج: الفتيلة التي تسرج.
(٢) التتيم: هو شدة الحب يقال: تيمه الحب إذا استولى عليه.
(٣) لم أجد لهذا الحديث تخريجاً في الكتب الموجودة لديّ.

الفقهاء لمن اضطر ولم يجد للنكاح سبيلاً. وقال: يجعل بين كفيه وذكره حريزة ولا يباشر الذكر بيده ليخرج بذلك عن الكراهة.

وأما الأئمة رحمهم الله تعالى فكلهم يكرهه ويوجب فيه التعزير غير أحمد بن حنبل رحمه الله، فإنه يكرهه ولا يوجب فيه التعزير. وقال مالك رحمه الله: من استمنى بيده فهو من العادين، يريد قوله تعالى: ﴿فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾[1].

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: استمناء الرجل بلغك فيه شيء عن ابن عباس رضي الله عنهما؟ قال: لا. قلت: افتكره؟ قال: نعم. قلت: فعنه حدّ؟ قال: ما سمعت ولا رأيت.

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخصخصة[2] فقال: ذلك نايك نفسه. وفي رواية أخرى عنه قال: الخصخصة خير من الزّنا. وفسّر أنها الاستمناء باليد.

وقال سعيد بن زياد: كنت عند سالم بن عبد الله، فجاءه شاب وقال: يا أبا عمرو ما تقول فيمن يجلد عميرة؟ قال: فما هي منه؟ قال: فسكت الشاب. فقال: تطول غربته فيعبث بذكره حتى يريق الماء. فقال: أف أف يا نايك نفسه. ثم قال: بلغني أن أقواماً يخرجون يوم القيامة وأيديهم حبالى، فإذا هم هؤلاء.

وحكي أن شيخاً من الرهبان أدخل أيره في ثقب بطيخة وهو يصيح بأعلى صوته: النيك النيك حتى أفرغ فيها. وحكي عن برصوصا الراهب أنه قال: لا تجامعوا النساء فيخرج من بطونهن الخظوان[3] فتعصون الله تعالى فيكون خطأهم عليكم، واتخذوا

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٧).

(٢) **الخصخصة**: التحريك والتقليب للشيء والترديد.

(٣) **الخظوان**: الذي ركب لحمه بعضه بعضاً، يقال امرأة خظوة أي مكتنزة

بطون الأفخاذ جنة لذكركم، فإن لم يكن ذلك فعليكم بالبصاق تصيّرونه في الراحة، ثم حكّوا الأير عليه قليلاً قليلاً ليخرج ما فيه فتستريحوا من ذلك. وقال بعضهم في المعنى:

لما ارتضى المرد بالبدال
وساحقت ربة الأحجال
وبت في مضجعي فريداً
وطالب الأير بالبعال
ولم يرد في مليح لأمر
لا حرام ولا حلال
وصار يحكي مؤذناً قد
ينظر في الجو للهلال
وضعت أيري ببطن كفي
أجلد فيها ولا أبالي

وقال آخر:

تعالوا فاسمعوا مني نصيحة
مجربة على بابي صحيحه
جميع النيك حلالاً أو حراماً
بأنثى أو ثمانون فضيحه
يعبث في الخرا والبول أيراً
ويعبث من فعايلك القبيحه
فجلد عميرة أولى وأشهى
وأطهر من مليح أو مليحه

وقال آخر:

لا تـنـظـرن إلـى الـنـكـاح
فـتـلـق نـفـسـك فـي الـنـكـد
وتـخـل عـنـه فـإنـه أدنـى
دواهـيـه الـولـد
ودع الـلـواط فـإنـه
لـيـس الـلـواط مـن الـرشـد
واجـلـد عـمـيـرة إنـه
لم يـخـش جـلـد مـن جـلـد

ورفع رجل إلى فقيه رقعة مكتوباً فيها هذه الأبيات:

ما ترى أصلحك الله واستي لك حالا
في فتى أعوزه النيك حراماً وحلالا
ويرى الناس ينيكون يميناً وشمالا

فكتب الفقيه على ظهر الرقعة: تجلد عميرة عافاك الله في الجمعة مرتين كما قال القائل:

إذا حـلـلـت بـواد لا أنـيـس لـه
فـاجـلـد عـمـيـرة لا عـار ولا حـرج

ومن النساء من تستمني إذا تهتكت في شهوة النكاح وتعذر مناله عليها، وتتخذ تمثالاً للأير تستعمله في الخلوات، وهو عندهن من العار والخزي، فلذلك يجحدونه ويحلفن عليه الأيمان الفاجرة كما يجحدون الاحتلام.

وحدّث ابن كثير: الحديث للنفس بالنكاح تهيج شهوة المرأة ويكثر حلمها به، وكذلك الرجل أيضاً. وسمع مخنثاً قائلاً يقول

لامرأة: ما حملك على الزنا؟ فقالت: لين المهاد وطول الرقاد وبلوغ المراد. فقال المخنث: وحديث النفس بالفساد.

ومما يهيج الشهوة من المرأة والرجل القبل، لا سيما إذا كانت في تمكن من خلوة أو أمن من الرقيب. ومما قلته في ذلك:

في لحظات الأعين اللعس
رسائل النفس للنفس
والقبلة العذبة في ضمنها
رسائل الأير إلى الكس

وقيل: القبلة أحد النيكين، وأحسن القبل ما كان ترشفاً بتملك الشفاه ومصها واستخراج الرضاب ـ وهو الريق العذب البارد ـ من اللسان خاصة، واستخراجه بأن يعض على لسان الذي يقبله عضة خفيفة بإظهار الإيلام له، فينبع منه عند ذلك ريق عذب بارد في رقة الماء لم يخالطه ريق الفم، وهو الذي يجد له العاشق برداً يدبّ في جسمه، وفتوراً يشبهونه بالسُّكر من دبيب الخمر في جسم شاربها. قال بعضهم:

إذا قبلتها كرعت بفيها
كروع العسجدية[1] في الغدير
فيأخذ في العناق وبرد فيها
يموّت في العظام من الفتور

ولا بد في القبل من صوت دقيق طويل، يخرج من بين اللسان وطرف الحنك، فيحدث منه ذلك الصوت من اجتذاب الريق وجرّه

---

(١) **العسجدية**: العسجد هو الذهب وقيل: هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت.

في موضعه. وأما القبل الذي توضع ظاهر الشفاه على ظاهر الشفاه وينقطع ذلك الصوت بقوة كأنه يدعو به السنانير فلا لذة فيها، وإنما تلك القبل فهي قبل الأولاد والأطفال والأيدي. وقلت:

قبلني في يدي فقلت فمي
إني إلى مثلها على أمل
يا طيبها قبلة مضيعة
لا يعرف الكف لذة القبل

ويقال: قبّل يده وفمه، وكذلك اللثم والبوس، وهي لفظة مولدة، والإلثام يختص بالفم دون اليد. قال بعض العرب:

والله ما يشفي الفؤاد الهايما
نفث الرقا وعقدك التمايما
ولا اللزام دون أن تقاعما
ولا الفغام دون أن يفاقما[1]
وتركب القوائم القوائما

والفغام المذكور هو النكاح، وأشار إليه.

(١) يفاقم: الفقم هو الامتلاء، الاكتفاء.

الباب السابع:

في ذكر صفات أبواب النكاح

اعلم أن أهل الهند ألهج الناس وأعراهم بالنكاح وأكثرهم تغنياً فيه، وقد وصفوا في كتبهم أشياء كثيرة من أبوابه. منها ما هو عظيم المشقة غير مأمون الضرر، وأنا أذكر في هذا الباب أبواباً بأسماء ممكنة العمل موجودة اللذة وهي: الأصمدل، والمصفدع، والمعفّق، والمقرمط، والسطوري، واللّوي - وهو المقمّع - والزجاجة، والقلوصي، وحشو النقانق، ولبس الجورب، وكشف الاستين، ونزع القوس، ودق الرز، ونسج الخز، ونيك الكهول، والكرسي والكباشي، والكوري، ودقّ الوتد، وسبك الحب، والمعتصب، ونيك الأحداث، وطرد الشاه، وقلب الميش، وركض الأير، وانظر واعجب، والحواريقي، والحدادي - ويسمى السفرجلي - والسلقي.

فالأول الأصمدل: وهو أن تستلقي المرأة على ظهرها، وتجعل تحت رجليها وسادة وترفعها بها، ويجلس الرجل بين رجليها على رؤوس أصابعه، ثم يلصق فخذيها بصدرها غاية ما يمكنه، ويدخل يده تحت كتفيها ويثني أصابعه على عاتقها، ويولجه معها ويجذبها إليه عند الرهز. وهذا فيه مشقة على المرأة، لأنه إذا ألصق فخذيها

بصدرها مع ارتفاع عجزها تقلص شفراها وقرب الرحم، فلا يبقى للرهز مسافة ولا للأير مجال، ويشق تصادم الأير والرحم عليه وعليها جميعاً، ولا يستحب هذا الباب إلاَّ لمن كان أيره صغيراً ومسترخياً.

الثاني المصفدع: وهو أن تلقى المرأة على ظهرها وتضم فخذيها، وتلصق عقبها بأليتيها، ويجلس مقرفصاً قبالة فرجها، فيولجه معها، ويجعل ركبتيها عند إبطيه، ويقبض على عضديها بكفيه ويجذبها إليها عند الرهز.

الثالث المعفق: وهو أن تلقيها على ظهرها وتجلس بين فخذيها جاثياً على ركبتيك وأصابع رجليك، وتجعل ركبتها حذاء خاصرتيك وساقيها وراء ظهرك، وتقبض بيدك على عاتقها.

الرابع المقرمط: وهو أن تلقيها على ظهرها وتضم فخذيها، وتنصب رجليها نصباً عالياً حتى تقابل قدماها سقف البيت، وتجعل فخذيها بين فخذيك وتولجه معها وتلزم سيقانها بيدك.

الخامس الشطوري: وهو أن تضجع المرأة على أحد جنبيها، وتمد رجلها اليسرى، فتجلس على فخذيها مقرفصاً وترفع رجلها العليا على عاتقك، ثم تولجه معها وتشبك أصابع كفيك على عاتقها الأعلى، وإن شئت قبضت على عاتقها.

السادس اللوي: وهو المقمع، وهو أن يستلقي الرجل على ظهره، وتجلس المرأة على أيره مستقبلة إلى وجهه، وتضع يدها على الفراش وتجافي بطنها عن بطنه، ثم ترهز طالعة ونازلة، وإن كان الرجل خفيف الجسم ساعدها بالرهز من تحتها، وإن أرادت بسطت ذراعيها على الفراش إذا أرادت أن تقبله.

السابع الزجاجة: وهو أن يعلقها إلى السقف في أربعة أبواب بيديها ورجليها، ويشد ظهرها بثوب آخر لئلا تتألم من أسفل ظهرها، وتجعل فرجها قبالة أيره وهو قائم على قدميه، فيولج معها ويرهزها رهزات، ثم يدفعها منه غير بعيد ويتلقاها بالأير فيولجه معها هكذا حتى يفرغ. وفي بعض الكتب الهنديات قريب الشبه من هذا يسمونه الهدولي، وهو أن يجمع يد المرأة ورجلها إلى عنقها، فيبقى فرج المرأة بارزاً ثم يعلّقها إلى بكرة في سقف البيت ويستلقي الرجل من تحتها ويكون الطرف الثاني من الحبل في يده يرفعها به وينزلها على أيره.

الثامن القلوصي: وهو أن تلبس المرأة سراويلها ثم ترسله إلى الأرض حتى يصير على ساقيها كالقيد، ثم تخرج رأسها من بين قدميها وتكون السراويل على رقبتها، ثم يرفعها الرجل برجليها ويلقها على ظهرها مقابلة فرجها، فيولجه معها مقرفصاً. ومن النساء من تستلقي وتضع قدميها تحت رأسها من غير سراويل ولا لزم بيديها.

التاسع حشو النقانق: وهو أن تستلقي المرأة على ظهرها، ويأتي الرجل فيقوم على ركبتيه ويرفع برجليها حتى لا يبقى على الفراش غير كفيها ورأسها، ثم يولجه معها ويأخذ بأليتها يستعين بها على الرهز، وتلوي هي رجليها على رقبته.

العاشر لبس الجورب: وهو أن يلقيها الرجل على ظهرها ويجلس بين رجليها، ويضع أيره بين شفريها ويأخذهما بيديه، كل واحد بجنب السبابة والإبهام، تشبيهاً بأخذ الدلكش عند إدخال الرجل فيه، ثم يرهز ببعض أيره حتى يترطب حرها، فإذا ترطب واستمر دخول الأير وخروجه فيه، فغر حينئذٍ واستلقم الأير.

الحادي عشر كشف الاستين: وهو أن يستلقي الرجل على ظهره، وتأتي المرأة فتجلس على أيره وظهرها إلى وجهه ووجهها إلى رجليه، وفخذاها مركوزتان بحذاء أضلاعها، وتضع كفيها على الفراش عند قدميه، وترهز وهي تنظر إلى إسته وهو ينظر إلى إستها.

الثاني عشر نزع القوس: وهو أن تستلقي المرأة على أحد جنبيها، ثم يأتي الرجل فيدخل بين رجليها عرضاً، ويكون وجهه وراء ظهرها ثم يولجه معها، ويقبض بيده على عاتقها من ورائها، وتمسك هي برجليه وترفعهما إليها ما استطاعت، فيكون كالقوس وهي كالسهم.

الثالث عشر نسج الخزّ(١): وهو أن يجلس الرجل على إليتيه، ثم يجمع بين باطني قدميه قريباً من أيره، ويطرح فخذيه وتجلس المرأة على قدميه مركوزة الفخذين بإزاء جنبيه، وتشبك أصابعها على رقبته، ثم يمسك هو ساقيها بيديه قريباً من الكعبين ويجذب إليه قدميه وهي عليها حتى يولجه معها إيلاجاً، ثم يعيدها إلى مكانها من غير أن يخرج أيره كله، ثم يجذبها إليه وهي تخفف نفسها معه وتساعده جائية وذاهبة، ويكون أكثر حيلها على قدميها، فإن أراد أن لا يخرج أيره فليلو عليهما بيديه من نصفها، وترهز هي مع مساعدته لها بقدميه من تحتها.

الرابع عشر دقّ الرز: وهو أن يجلس الرجل على أليته ويمد رجليه، وتجلس المرأة على أيره مقابلة له، وتلوي بيديها على رقبته،

---

(١) الخزّ: ثياب تنسج من صوف وإبريسم.

ويلوي هو بيده على أضلاعها أو خاصرتها، ويكون يصعدها وينزلها على أيره بيديه وهي تعينه بنفسها.

الخامس عشر نيك الكهول: وهو أن تنبطح المرأة على بطنها، ثم يجعل تحت عاتقها وسادة ترفع بها عجزها، ثم ينبطح الرجل على ظهرها ويأتيها مستديرة، وأكثر حيله على مرفقيه. وهذا الباب أقل أبواب النكاح ضرراً على الرجل.

السادس عشر الكرسي: وهو أن يقوم الرجل والمرأة على أقدامهما متقابلين، ثم تفجع[1] المرأة له فيدخل رجليه بين رجليها، وتقدم هي رجلها قليلاً ويقدم هو إحدى رجليه قليلاً، ثم تشبك أصابعها على صلبه ويشبك أصابعه على صلبها، ويولجه معها ويتراهزان الرهز النطاحي وسيأتي ذكره.

السابع عشر الكباشي: وهو أن تبرك المرأة على ركبتيها وذراعيها، ويقوم الرجل خلفها على ركبتيه، فيولجه معها ويقبض بكفيه على عاتقها.

الثامن عشر الكوري: وهو أن تقوم المرأة على قدميها، وتضع كفيها على الأرض، وترفع بعجزها رفعاً عالياً، ثم تخفض ظهرها ورأسها، ويقوم الرجل من خلفها على قدميه فينيكها على تلك الحال، ويقبض على فخذيها من تحت أوراكها. وهذا الباب إذا نزع الرجل أيره من فرج المرأة بعد العمل وتركها مكورة على حالها، سمع لفرجها خواراً، والذي قد عرفته من النساء لا تكاد تساعد الرجل عليه.

---

(١) **تفحج:** الفحج هو تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة، وقيل تباعد ما بين الفخذين، وقيل: تباعد ما بين الرجلين.

التاسع عشر دق الوتد: وهو أن تلوي المرأة رجليها على خاصرتي الرجل ويدها على رقبته، ثم يسند ظهرها إلى الحائط ويولجه معها، ويرهزها وهي متعلقة به.

العشرون سبك الحب: وهو أن تستلقي المرأة على جنبها الأيمن، والرجل على جنبه الأيسر ويفرش فخذه اليسرى ويرفعها حتى تبلغ أضلاعها، وترفع هي فخذها العليا إلى أضلاعه، ويسند ظهرها بفخذه العليا ويرهز هو وإن شاءت هي.

الحادي والعشرون المعتصب: وهو أن يقوم الرجل وراء المرأة وهي غافلة، ويدخل يده من تحت إبطيها، ويشبك أصابعه على رقبتها، ويرفع عضديها بعضديه، ويعكس رقبتها بكفيه وهي منكسة ضرورة، فإن كانت بغير سراويل وأمكنه رفع ثوبها بركبتيه إلى كفلها(١) وإلا فهو يسقط بطول الممارسة، ثم يخالف أحد ساقيه على ساقيها لئلا تزوغ بفرجها عن أيره فتمنعه من الإيلاج، وإن كانت في سراويل وهي جلدة لا يمكنه أخذ يديها إلا بيد واحدة بطلت حيلته.

الثاني والعشرون نيك الأحداث: وهو أن يلقي المرأة على ظهرها ثم ينبطح على صدرها حتى يفرغ.

الثالث والعشرون طرد الشاه: وهو أن تبرك المرأة على يديها ورجليها، ثم يأتي الرجل فيقوم من خلفها على قدميه، ثم يرفع بفخذها حتى يقابل فرجها بأيره وتجعله معها وهي منكسة الرأس على يديها.

الرابع والعشرون قلب الميش: وهو أن يستلقي الرجل على

(١) الكَفَل: بالتحريك العجز. وقيل: ردف العجز.

ظهره، ثم تأتي المرأة فتقرفص بين رجليه على رؤوس أصابعها، وتضع يدها على الفراش بحذاء اليتيه، ولا بد من وسادة تحت قدميها ليواري فرجها أيره كله، فتكون كأنها الرجل وهو المرأة.

الخامس والعشرون ركض الأير: وهو أن يسند الرجل ظهره إلى وسادة، ثم يجلس غير منتصب الظهر، بل يكون صلبه على الفراش وكتفاه على الوسادة، ويقيم فخذيه بحيث أن رأسه يكون موازياً لركبتيه، وتأتي المرأة فتجلس على أيره مقابلة له بوجهها غير منكبة، فتكون كأنها في سرج، فإن شاءت نصبت ركبتيها ورهزت طالعة ونازلة، وإن شاءت وضعتهما على الفراش وكان هو يحرك عجزها بفخذيه، وتكون قابضة بشمالها على منكبه الأيمن.

السادس والعشرون انظر واعجب: ويسمى المداخل، وهو أن تجلس المرأة على إحدى اليتيها مركوزة[1] الفخذين بعض الركز، ويجلس الرجل مثل جلستها مقابلاً لفرجها بأيره، ثم يضع فخذها اليمين فوق فخذه اليسرى، وفخذه اليمين فوق فخذها اليسرى ويولجه معها، ويقبض عضديه بكفيها، وينقعر كل واحد منهما إلى خلفه قليلاً وهما متماسكان بالأعضاء، ويتراهزان رهزاً نطاحياً ويستعينا عند الرهز بوضع الأعقاب على الأرض.

السابع والعشرون الحواريقي: وهو أن تستلقي المرأة على ظهرها وينبطح الرجل على بطنها واضعاً حيله على مرفقيه، فإذا أولجه معها رفعت عجزها من الفراش ما استطاعت ويرفع هو معها ولا يخرج أيره، ثم ترسل نفسها إلى الفراش رخضاً من غير تماسك

---

(١) مركوزة: الركز هو غرزك شيئاً منتصباً كالرمح وغيره، ومركوز في الأرض أي ثابت.

وهو لاصق بها هكذا مرة بعد أخرى. ومن شرطه أن يكون الرجل خفيفاً غير ثقيل الجسم والفراش قطنياً. وعلى كل حال لا يمكنهما التكرار عليه ولا يؤمن ضرره.

الثامن والعشرون الحدادي: وهو أن تستلقي المرأة على ظهرها وتجعل تحت أليتها وسادة، وترفع رجليها إلى صدرها غاية ما تقدر على رفعها حتى يتصوب فرجها ثم يولجه معها، ويرهز ساعة ثم يخرج أيره فيولجه في جحرها، ثم يخرجه من جحرها ويولجه في استها، ويرهز ساعة ثم يخرجه من استها فيولجه في جحرها بسرعة كما يخرج الحديدة الحداد من الكير فيغمسها في الماء لتبرد. وهو يسمى السفرجلي.

التاسع والعشرون السلقي: وهو أن تستلقي المرأة على ظهرها ويجلس الرجل بين رجليها مقرفصاً على أصابع رجليه، ويرفع فخذيه منبسطين وترفع فخذيها منتصبين، ويرسل ساقيها خلف عضديه، وإن شاء جعلهما على عاتقه وأمسك بيديه خاصرتيها أو عضديها.

فهذه الأبواب أكثر ما يمكن العمل بها، ومن فكر في طلب زيادة وجدها، وأما ما لا يمكن العمل به فلا فائدة في ذكره. وقد بالغ أهل الهند في أبواب النكاح حتى وضعوا منها أشياء ممتعة جداً. فمنها أن تستلقي المرأة على ظهرها، ثم يأتي الرجل فيجلس على صدرها موالياً ظهره ويكون حيله على ركبتيه وأصابع قدميه، ثم يأخذ بفخذيها حتى يحني ظهرها، ثم يقابل أيره بفرجها ويولجه معها وهو مكانه. وهذا كما ترى من عظم المشقة ممتنع الإمكان ولا يمكن إلا في التصوير.

فصل

الرَّهز أنواع، فمنه المسمى **نزع الدلاء**، وهو أن يتعانق الرجل والمرأة بعد الإيلاج ويرهز رهزة ثم يتراخى لها إلى خلفه، وتتبعه هي برهزة ثم تتراخى هي إلى خلفها، ويرهز هو هكذا رهزاً متتابعاً من غير إبطاء منه كما يتقدم الرجلان على البئر فيتنازعان الدلاء بينهما.

ومنه النطاحي: وهو أن يتراخى كل واحد منهما إلى خلفه من غير أن يخرج أيره كله، ثم يرهز معها رهزة واحدة ويفترقا معاً، هكذا من غير إبطاء كالنطاح.

ومنه المتداني: وهو أن يرهز الرجل كعادته ما شاء ثم يقف، وتتمكن المرأة من أيره فترهز عليه ما شاءت ثم تقف، ثم يعود هو فيرهز كذلك حتى يفرغا.

ومنه خياط الحب: وهو أن يرهز الرجل ببعض أيره رهزاً سريعاً، ثم يغمده برهزة واحدة إلى آخره تشبيهاً بحركة الإبرة في الثوب عند الخياط وخروجها الخيط إلى آخره، وقد يفعله الرجل والمرأة وهذا بحسب الإنزال من الرجال والنساء لأنه يسرع الإنزال به.

ومنه سواك الحر: وهو أن يدخل الرجل أيره في جوانب الحر تصويباً وتصعيداً، ويمنة ويسرة. ولا يمكن هذا إلا بأير صليب متين طويل.

ومنه العصايدي: وهو أن يولج الرجل أيره جميعه، ثم يلصق الشعرة بالشعرة لصقاً شديداً مع شدة الضم منها، ويكون رهزه فحشاً معضداً من غير أن يبرز من أيره شيئاً، وهذا النوع أحبّ إلى المساحقات، ويستحب لسريع الإنزال من الرجال.

الباب الثامن:

فيما يجب معرفته من منافع الباه ومضارها المجربة

إذا نقع من الكافور نصف مثقال وماء وشرب، أبطل العضو وقطع النكاح، وكثيراً ما تفعله النساء بالرجال إذا اشتدت غيرتهن عليهم من الضرائر ومرادهن من ذلك أن يعتمدون من الكافور ما كان من فضلة كافور الميت بعد تكفينه، يحرصن عليه ويبذلن في تحصيله للعجائز. ونَور الحنّاء الذي يسمى الفاغية[1] إذا نُقع في الماء حتى يصفر ويشرب عَمِل عَمَل الكافور أو قريباً منه. والإدمان على شم الكاري يضعف الباه. وطول الجلوس على النطع في الشتاء يضعف الباه ويضرّ بالصلب وخاصة في البلاد الباردة، وكذلك الجلوس على الأشياء التي تكسب البرودة: الجص وما أشبهه.

والنكاح على احتقان البول يضر بالذكر، ونكاح العجوز يضعف الباه وينهك الجسم، وربما أكسب الأمراض والعلل، وأضرها أن تكون عجوزاً حمراء، فإنه مجرب. والإدمان على أكل

(١) **الفاغية**: نَور الحناء خاصةً، وهي طيبة الريح تخرج أمثال العناقيد ويتفتح منها نَور صغار فتجتنى.

الأشياء الحامضة يضعف الباه. وترك الذَّكر في فرج المرأة بعد الإنزال يضعف الذكر ويقل الجماع، ولذلك صار العزل عنهن أدعى إلى المعاودة وأقل للملال.

وأصدق ما قيل في ذلك قولهم: من ناك لنفسه ساعدته شهوته ودامت لذّته، ومن ناك لغيره فترت آلته وانقطعت مادته. ومعنى من ناك لنفسه ساعدته شهوته: أن يكون مقبلاً على شهوة نفسه، يأخذ من النكاح حسب ما يريد من زيادة أو نقص في أي وقت اختار ما كانت شهوته داعية إلى النكاح؛ فهذا لا تنقطع مادته في النكاح. ومن ناك لغيره معناه: أن يكون الرجل مراعياً لشهوة المرأة يكلف نفسه بلوغ مرادها من النكاح وغاية شهوتها، ولا يلتفت إلى استحمام مائه ولا حفظ جسمه، ويكون منهمكاً في شهوة غيره.

ويكره النكاح في الحمام وعقيب الخروج منه، وعقيب الاستفراغ، وعقيب السكر الشديد. والنكاح على الحيض شديد الضرر للرجل والمرأة. ويكره النكاح في الماء، وأهل الهند يكرهونه ويحكمون عليه بعدم اللذة، ولذلك لا يضعوا له صورة في كتبهم؛ وبعضهم يقول: لا يدخل دخول الماء في أحد الفرجين فيورث ضرراً عظيماً، والدليل على عدم لذّته أن الإنزال يبطىء فيه من الرجل والمرأة جميعاً. ويكره النظر إلى باطن فرج المرأة، قالوا: وربما أورث العمى. وقيل كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما شرهاً في الجماع، وكان كثير الولع بالنظر إلى فرج المرأة عند النكاح، وأنه أسرع إليه العمى. وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما كذلك، فقيل له في ذلك، فقال: وهل اللذة إلا فيه؟ وكان أسرع إليه العمى.

ويكره النكاح على الامتلاء من الطعام، فمنه نصيب الفتق في

البطن أو من حركة شديدة. ويكره استلقاء الرجل على ظهره عند الجماع لما يخشى من رجوع مائه أو ماء المرأة في ذكره. ويكره عقب التعب وفي شدة الحر، وقالوا: في حزيران يوم مجهول، من جامع فيه في بلد شديد الحر عمي من وقته، ولم ينص على يوم بعينه.

ورد في الجنابات من غير غسل يضعف الباه ويعمي القلب، وإذا نكح الرجل حراماً ثم نكح زوجته قبل أن يغتسل، وحملت ذلك الوقت، لم يؤمن على الولد من آفة في خدّه أو عاهة تحدث فيه. وفي بعض الكتب أن الرجل إذا فجر بغلام ثم جامع أهله من غير أن يغتسل أو يغسل ذكره وردد في فكره أن ينكح وتعمد ذلك، وحملت منه من ذلك الوقت برجل كان مأنوثاً أو مخنثاً. وسكون الرجل إلى عناق المرأة بعد فراغه منها وتلقي أنفاسها مما يضعفه ويقلّ نشاطه، ويعجل الشيب إليه قبل وقته. وحمل الشيء الثقيل على الظهر يطيل الذكر ويضعف النكاح. وإدمان لبس الحرير يضعف النكاح ويزيد في غلمة المرأة. والنساء يغتلمن في الصيف والرجال في الشتاء.

والصوم يسكن الإنعاظ إذا دام، وهو في أوله يهيج الإنعاظ، وشرب السمن والإكثار منه يبطل النكاح. ومما يعين النكاح وينشطه الاغتسال بالماء البارد عقيب العمل من غير إهمال، والاغتسال بالماء البارد يحبس الشيب والماء الحار يعجله. ونكاح الشابة من النساء أدعى لنشاط الرجل وشهوته بقدر حداثة نفسه.

وفي وصية بعض الأعراب لابنته عند زفافها إلى زوجها: ليكن أكثر طيبك الماء. يريد كثرة الاغتسال. ولبعض الأجسام رائحة أطيب من الطيب، وبعضها لا يظهر فيه طيب. قالت امرأة لزوجها:

من سحقك أني ما شممت منك رائحة طيب قط. فقال: بالحنا الطيّب يُشم من المرأة.

وإذا أكثر الرجل من الجماع قلّت لذته به. ومن الخواص أن الرجل إذا أخذ دم تيس وخلطه بعسل ثم طلى به ذكره وجامع وجد له لذة عظيمة، وإذا أخذ الرجل شيئاً من شعر حصان وربط به على ذكره وجامع المرأة لم تملك ضراطها، وكذلك إذا أخذ بصل العنصر ودلكت به قاعة الحمام لم يجلس عليه أحد إلاّ ضرط. وأخبرني غير واحد من الثقات أن تلاوة القرآن يزيد في الباه ويقطع البلغم. والله تعالى أعلم.

الباب التاسع:

في ذكر السحق والسحاقات

السحاق قديم في النساء، ولهن به لذة يهون عندهن الافتضاح فيه والاشتهار به. قال صلى الله عليه وسلم: «**سحاق النساء بينهن زنا**»(١) وأول من سنّ السحق ابنة الحسن اليماني، وكانت وفدت على النعمان بن المنذر فأنزلها عند امرأته هند، فعشقتها وشغفت بها، وكانت هند أحسن أهل زمانها، وهي التي تسمى المتجردة لحسن متجردها، فلم تزل ابنة الحسن تخدعها وتزين لها السحق وتقول: في اجتماع المرأتين لذة لم تكن بين المرأة والرجل، وأمناً من الفضيحة، وإدراكاً لتمام الشهوة من غير اتهام ولا محاذرة لعاقبة، حتى اجتمعتا، فوجدت من الالتذاذ بها فوق ما قالته، وبلغ من شغف كل واحدة بالأخرى ما لم يكن بين امرأتين قط قبلهما، فلما ماتت ابنة الحسن اعتكفت هند على قبرها حتى ضرب بها المثل. وفي ذلك قال الفرزدق:

---

(١) جاء تخريج هذا الحديث في **الفردوس بمأثور الخطاب**، ج ٢، ص ٣٣٩، ح ٣٥٣٢.

وفيت بعهد منك كان تكرماً

كما لابنة الحسن اليماني وفت هند

ثم من بعدهما رغوم ونجدة، تعاشقتا واشتهر أمرهما بالسحاق حتى عيّر أخو رغوم بذلك من أخته، فرصد لهما حتى وافاهما يوماً وهما مضطجعتان، فقتل نجدة وارتحل بأخته، فجعلت رغوم تحرض قوم نجدة على قتل أخيها، وشبّت الحرب بينهما. وفي هذا دليل على عظم ما يجدنه من اللذة في السحق وترجيحه عندهن على اللذة من الرجال.

والسحاقات على ضربين: **إحداهما** من تحب السحق ولا تكره الأير، فميلها إلى السحاق والعبث به لأحد أربعة أوجه: إما لشدة غلمة عدمت شفيها، وإفراط شهوة لم تجد كافيها، فيحملها ذلك على الاستفحال وحك الأشفار بالأشفار، تستمني بذلك وتشتفي من غلمتها به، فهذه يمكن انتزاعها من الشك إلى اليقين واستخراجها من المجاز إلى الحقيقة بالرجل الماهر الموسر من الباه، الذي يعرض عليها أنواع النيك وألوانه حتى تنظر إلى أي نوع يقع اختيارها عليه، وأي لون يوافق شهوتها فيعاملها به، فقد رأينا بعض الدجاج إذا طالت عنها غيبة الديك استديكت على الدجاج وسفدتهن(١) وصاحت صياح الديك، فإذا لقيت الديك وسمعت صياحه، ووجدت منه حقيقة السفد، رجعت إلى عادتها وانقطع صياحها ولم تسفد دجاجة.

ورأيت من اشتهرت بالسحاق وظهرت الفحولية من كلامها، ثم تزوجت وتركت السحاق ورقت شمائلها. وأما للجهل بحلاوة

---

(١) **السفاد**: نزو الذكر على الأنثى.

النكاح والتغفل عن كنه قدره فهذه أيضاً سريعة الانتباهة قريبة الرجوع إلى الحق. وحكي أن سحاقة رأت أير رجل قائم فقالت: مثل هذه المدقة في الدنيا وأنا أدق بابي براحة يدي منذ عشرين سنة. ثم تركت السحق ورغبت في الرجال.

وأما للاحتراس من الحبل لكراهة الولد واتقاء الفضيحة فيه، فهي تتخذ السحاق سداً من عوز، وإمّا أن تكون في ابتدائها مقهورة محكوماً عليها من غالية، تعجز عن عصيانها، أو ما كرهت تزين لها، فإذا ذاقت لذاذة ذلك استمرت عليه وأحبت أن تفعل بغيرها لتوجدها لذة ما وجدت، وهي في حال الفعل بها كالأمرد، إذا أفلت من الفحج لم يكن له همّ إلا اللواط.

وأما الضرب الثاني منهن، فهي المتذكرة الخلق ويظهر ذلك فيها من صغرها، فهي تنافس الرجال وتتشبه بهم وتأنف من الخضوع لهم، قد رفضت النيك واستهانت بالأيور، ونافست الرجال في الأبكار، وساوتهم في الغيرة عليهن والمحاماة عنهن، وقد ينتهي بها الأمر إلى نيك المرد وهي تنعظ، قالوا: وإنعاظها أن يخرج لها تحت البطن شيء كعرف الديك، وليس كذلك، وإنما هو العظم الرقيق الذي فوق مدخل الأير، تشبه بعظم الأنف الداخل في ليّنة يسمونه العنصب، فتصعد على فرج المفعول بها وتحك به، فإذا حكت به وجدت بينهما لذة أشد من لذة النكاح وللفاعلة أكثر، فإذا حكت به فرج المفعول بها برز بروزاً شديداً كدردر[1] الطفل إلا أنه مستطيل غير معترض، ويجدان له لذة أعظم من لذة النكاح. وإذا تعمد الرجل ذلك الموضع من المرأة بأيره برز له ذلك، ورأى من التذاذها وانحلالها ما يدل على ما ذكرت، وقد تدمي جحر الأمرد

---

(١) الدردر: منبت الأسنان عامة، وقيل مغارزها من الصبي.

إذا ناكته، فيتوهم أنه شيء يخرج من فرجها، وإنما هو من خشونة شعرها وقوة مجسها عليه.

وكل ما يفعله الرجل بالمرأة في حال النكاح تفعله السحاقة في حال السحق من الضمّ والعناق والقبل، والسحق على الجنبين، والجلوس بين الرجلين مقرفصة ما خلا الاستدبار الذي يسمى الكوري، فإنها لا تعتمده إلا في نيك الأمرد، فهذه إن نيكت وحبلت فليس هو من شهوة نيك الرجال، وإنما هو لمعنى يوافق غرضها من رجل بعينه فيلذ لها نكاحه لذلك الغرض دون غيره من الرجال؛ وكتبت سحاقة إلى متقية كتاباً تقول فيه:

رقعتي هذه فدتك حياتي
فانظري ما كتبت فيها وعيه
واسمعي لا رأيت بحرك سوءاً
واكشفي ما أقوله واستريه
فإذا ما رأيتِ قولي صواباً
فاقبليه إن شئت أو فدعيه

وسيري إلي راعية واعية، لأريك جارية وأي جارية، ليست بدونك في الجمال، ولا مقصرة عنك في الكمال، ذات شعر فاحم، وصدر ناعم، ونهد قائم، وردف أعظم، وخصر أهضم[1]، وحر كجبهة الثور الأجم، لبقة، رشقة، غنجة، لهجة، رصينة غير خرقاء، تريك ذلقاً[2] وسحقاً، فبادري وتذوقي طعم اللذاذة حقاً، وتعلمين بأني قد قلت في السحق صدقاً:

(١) الهضم: خمص البطون ولطف الكشح.
(٢) الذلق: حدّة الشيء وحَدّ كل شيء.

يا بؤس كس شقي يشقه الأير شقا
تمضي اللذاذة عنه والعتب والعار يبقى

وإن كانت الحالة كلها سمحة، فهذه أيسر من تلك الدرجة، هذا كفاف وهذا إسراف، هذا أمر مستور وذاك أمر محظور، وقد نصحت لكِ فانتصحي، وعليّ أن لا تفتضحي.

فأجابتها المتقية عن ذلك:

جاءت الرقعة السعيدة عندي
فأنا بالحياة حقّك أفدي
وفهمت الذي كتبت وبينت
وأوردت بين نثر وسردي
فاسمعي لا عدمت نصحك منّي
وافهمي يا أعز ذا الخلق عندي
وانشطي لاعدمت فقدك في القول
ولا تسلكي سبيل العقدي

فتعجبتِ أيتها الأخت بسط الله عمرك وأعلى قدرك وأدام صيانتك، أنك أنكرت وما فكرت، وألحقت وما أنصفت، وتعديتِ فيما أبديتِ، وسميتِ ما أنا فيه عيباً وعاراً، وهجواً وشناراً، وعددت هواكِ تصواباً وسيراً، وجعلتِه كفافاً وفخراً، وضربت لذلك أمثالاً، وعددت له أقوالاً، وطالبت بالحجة وإظهار المحجة، ثم هفوت فدعوتِ إلى أمر ما أنكره كإنكارك عليّ ما أؤثره، وسأجيبك عن قولك فصلاً فصلاً، لتعلمي أن الذي رخص لك في المصافحة، حسّن لنا المناكحة، والذي طيب لك المسارقة طيب لنا المعانقة، والدواة لا تصلح بغير أقلام، والمهرة لا تمسك إلا بقاسي

اللجام، والنخل أفضل الشجر، والرطب أحلى الثمر، والقطائف خير من السندود، واللوذينج خير من الفالوذج، والقلم ترجمان الصدور، والرحا بغير قطب لا تدور، والسرائح لا تنال بغير سفود، والشراع لا يقوم بغير عمود، والمرود آلة لاكتحال الأحداق، والتنور لا يشوى فيه بغير إحراق، وبعد فهذا المشق لذاك المدق، وهذا الأقرع لذاك الأصلع، وهذا المعقب لذلك المرقب، وهذا الممهّد النائم لذاك المسند القائم. وأنا التي أقول:

قولوا لمستحسنة السحق
ما أوحش الشق على الشق
قد كان في الأير لها راحة
لكنها زاغت عن الحق

ثم إني لعذرك باسطة، وعليك غير ساخطة، لأنك عبت ما لا تعرفين، ونهيت عما لا تخبرين، ومن لم يذق العسل لم يعرف قدره، ومن لم يستنشق المسك لم يعلم فخره، ولو لم يكن ما نهيت عنه ألذّ الموجودات عند البنات، لم تعرف المرأة بعد النفاس إلى ذلك المراس، ولا رجعت بعد الولادة إلى تلك العادة. وأما الرجال فإن أحدهما...[1] عن نفسه، ويجود بما يملكه على عرسه، وحسبك ما جرى على المتيمين من العشاق المتقدمين، أدناهم من عدم عقله، ومنهم من فقد أهله، ومنهم من قتل نفسه أسفاً، ومنهم من مات حسرة وتلهفاً، أترينهم عشقوا ليبخلوا، واختلوا ليقتلوا. هيهات هيهات، إنما طعموا فمنعوا، ومطلوا فبخلوا، وحجبوا فالتهبوا، وذاقوا فاشتاقوا، ونظروا فانفطروا، وعشقوا فاحترقوا،

(١) بياض بالمخطوط بمقدار كلمة.

فغدوا بين مفتون ومجنون، ومخبول ومخبون، وناحل وذابل، وباك وشاك، وإنما أكثروا اللجاجة، من أجل تلك الحاجة، وأطالوا النزاع لدس المتاع في المتاع، حتى من عجب العجب افتخار أهل النار بالحطب، وضيفتني جارية ودعوتني إليها، وأنا أعرّفك فضل ما عندي عليها، وهذه الأمور ليست تدرك بالمواصفة، وإنما تعرف بالمكاشفة، فإن أردت ذلك لتجعلين أيره في أشفارك فعندي لك غلام مليح القوام حسن الابتسام، ساحر الجفون بديع الفنون، تهش إليه النفوس وله أصداغ كأصداغ العروس، خدّه كخدك ترفا، وقدّه كقدك هيفا.

رخيم الدلال بديع الجمال
حميد الخصال ألف ملق[1]
بوجه مضيّ وثغر نقي
وخلق رضي وقدّ رشق
كريم الطباع شهي الجماع
إلى ما تريدين منه قلق
مليح المزاح لذيذ النكاح
قليل الخلاف لمن قد عشق
رشيق القوام غري الكلام
كبدر التمام ظريف شبق
قوي جسور عطوف غيور
ولكن بحور بأير حرق

(١) الملِق: الودود والشديد اللطافة.

يـنـيـك بـلا كـلـفـة خـمـسـة
ويـتـبـعـهـا خـمـسـة فـي طـلـق
فـقـربـاً لـهـذا وأهـلاً بـه
وبـعـداً لـذاك وسـحـقـاً سـحـق
فـلا تـقـربـي الـسـحـق يـا هـذه
فـإن الـسـحـاق لـشـر خـلـق
وسـيـري إلـيّ ولا تـفـرقـي
قـوي [هـمـا فـلـتـه][1] فـي نـسـق

أختي ما تعدّينا عليك، عرضنا عليك مثل ما عرضتِ علينا، وتقربنا إليك كما تقربتِ إلينا، فإن أردت هذا فبين يديك، وإن أحببت ذاك فالسلام عليك.

وأهدت متقية إلى سحاقة أترنجة، وقد يكون فيها هيئة الفرج من أصل الخلقة، وكتبت عليها هذه الأبيات:

لما تـأمـلـت هـذا قـلـت سـيـدتـي
ســت الملاح بـهـا أولـى مـن الـبـشـر
كـس بـهـيٌ كـمـثـل الـنـار لـفـحـتـه
فـي حـقـو جـاريـة أبـهـى مـن الـقـمـر
صـفـراء مـسـكـنـة الأنـفـاس نـاعـمـة
مـخـلـوقـة مـن نـبـات الماء والـشـجـر

فأجابتها السحاقة:

(١) ما بين المعقوفين كلمة غير واضحة في المخطوط وهذا تصويرها

أهديت أترنجة مثل النظار لها
نشر أريج كنشر العنبر العطر
فزادها بهجة عندي وزينها
هِنٌ لها لم يشنه دفعة الذكر
لو كان شيء سواه مثله حسنا
ما حطه الله تمثالاً على الشجر
هذا وفي الفرج زجراً أنه فرج
وزجر أترنجة...[1] تنزجري

وصورت متقية صورة غلام قد رفع رجلي امرأة وهو ينيكها، وأرسلت به إلى سحاقة، وكتبت عند الصورة تقول:

هذا وحقّك حالي ما للسحاق وما لي
يرمي القلوب بلحظ كإصابات النبالِ
ذو طرة كظلام وغرة كهلالي
وقامة كقضيب تزهو بحسن اعتدال
فذاك أنسي وسولي يفديه روحي ومالي
عسى يشقيك هذا فلا يغنيني فعالي

فصورت السحاقة صورة جارية تساحقها وأرسلتها إلى المتقية وكتبت عندها:

لكن كسي يجود يزهو بخد وخال
كمثل نقطة مسك تلوح فوق هلال
تريك ثغراً نقياً ومبسماً كاللآلي
فيه رضاب شهي عذب المذاقة حالي

(١) بياض في المخطوط بمقدار كلمة.

وحسن جيد بهيّ كمثل جيد الغزال
أقول لما بدا لي من حسنها يا ما بدا لي
سبحان من صاغ الجمال من صلصال
فصار خلقاً سوياً مكوناً من جمال
أتيت أرشف فيها وصادها عند دال
إن كان هذا حرام فذاك غير حلال

وقال أبو نواس:

ما للسحاق معنى أنا به عليم
لأنها شحوم يدلكها شحوم
ما للحكاك شيء إذا اعترى بقوم
حتى يغيب فيه ذا الأصلع المشوم

وقال أيضاً:

قبح الله سواحق الورس
فلقد فضحن حراير الإنس
هيجن حرباً لا سلاح بها
إلا قراع الترس بالترس

ومما قلته في ذلك:

عجبوا من سحاقها ثم قالوا
ما التذاذ الأحراج بالأحراج
قلت بل كسها الشقي عليل
فهو يعطى مزّورات النكاح

الباب العاشر:

في تفضيل الغلمان على الجواري الحسان

قد أجمع أهل زماننا على تسمية الأمرد المواجر علقاً، والعلق هو الشيء المظنون به من الذخائر النفيسة، وبعض المدلسين من المتصوفين يأتي الأمرد فيخمشه ويمسك شفتيه ويقول: يا علق من غير احتشام ولا هيبة، فإن لان له وأطمعه في نفسه انتهز فرصته وقضى منه غرضه، وإن تنكر له وتنهر عليه، وخاف بادرة شره وإنكار عزه، تراخى عنه وتأوه وهزّ رأسه وقال: كأنكم ما تعرفون العلق ولا تدرون: العلق من لا يزال معلقاً برحمة الله تعالى. كان شيخي رحمه الله يقول: من حسنت صورته، فذاك عناية الخالق به، ومن عُني به الخالق أحبه المخلوق، ومن أحبه المخلوق دلَّ على محبة الخالق، ومن أحبه الخالق تعلق برحمة الله تعالى، ومن تعلق برحمة الله فذاك العلق. ثم يمضي ويقول: اللهم اجعلني من العلوق.

وقد افتتن بالغلمان كثير من الرؤساء المتقدمين والظرفاء والشعراء وغيرهم من طبقات الناس، واشتهروا بعشقهم وأطنبوا في وصفهم، وسارت بذلك أشعارهم وطارت به أخبارهم، وشيخ الجماعة وأستاذ الصناعة القاضي يحيى بن أكثم، على نباهة قدره وجلالة

أمره وارتفاع منصبه هو القائل: إنما الدنيا طعام، ومدام، وغلام، فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام.

ويحكى أن بردان الكاتب كان بين يدي يحيى بن أكثم؛ وكان يفتي جهلاً، فقرص يحيى خدّه فخجل واحمرت وجنتاه ورمى بالقلم من يده، فقال له يحيى: خذ القلم واكتب ما أملي عليك، فأخذ القلم فأملى عليه:

أيا قمراً خمشته فتغضبا
وأصبح لي من تيهه متجنبا
إذا كنت للتخميش والعض كارهاً
فكن أبداً يا سيدي مشقبا
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة
وتجعل منها فورة خد بل عقربا
فتقتل مشتاقاً وتفتن ناسكاً
وتترك قاضي المسلمين معذبا

وقال آخر: أي دواة لم يلقها قلمه؟ فأجابه: وأي أرض لم يطأ قدمه؛ والله يا قوم لقد حلّ دمه، وداعية المأمون معرضاً له بقول الشاعر فيه، فقال: من الذي يقول:

قاضٍ يرى الحد في الزنا ولا
يرى على من يلوط من باس

فقال له: الذي يقول:

لا أرى الجور ينقضي على الآمه
وآل يعزى إلى العباس

فقال المأمون: تنفى إلى الهند فإنما داعبناك.

ودخل يوماً على المأمون، فلما توسط صحن الدار، رأى من الغلمان ما أدهشه وراعه، فقال: لولا أنتم لكنا مؤمنين. فقال له بعضهم: ﴿نحن صددناكم عن الهدى بعد أن جاءكم بل كنتم مجرمين﴾[1] فسمعه المأمون فقال له عما سمع. فقال: أرتج عليّ في درسي ففُتح علي فتبسم المأمون وعرف معناه.

وكان في زمن المأمون رجل ادعى النبوة، فقال المأمون ليحيى ابن أكثم: اخرج بنا إلى هذا المتنبي متنكرين، لعلنا نسمع منه نادرة، فلما دخلا عليه جلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره، فقال له المأمون: أنت نبيّ؟ قال: نعم. قال: ما آيتك؟ قال: لا أدري غير أن جبريل نزل إليّ الساعة وقال: يدخل عليك رجلان يجلس أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك، ألوط خلق الله تعالى. وكان قد عرفهما، فضحك المأمون وقال: أشهد أن قولك هذا حق وخرجا.

وكان يحيى بن أكثم يوماً عند الواثق، وبين يديه غلاماً من غلمانه حسن الصورة، فأحدّ يحيى النظر إليه فتبسم، فقال له الواثق: يا يحيى بحياتي كشكته. فقال: أي وحياتك مرة. معنى كلام الواثق بالتصحيف: كنت نكته.

وقيل لبعضهم: ما ألذّ العيش صبيح أصغر، وشراب أحمر، وغلام أحور.

وقال أبو العلنين: الغلام أقل مؤنة وأكثر مونة، تأمن طمثه وحبله، ولا تتوقع الحد والرجم من قبله، وهو في الخلوة نديم ومع الندماء يديم، وفي السفر صاحب.

ومن المشتهرين بهذا الفن: أبو نواس، وشعره فيهم كثير جداً.

---

(١) سورة سبأ، الآية (٣٢).

وقيل: إن حب النساء أغلب عليه، وميله لهن أكثر.

قال المبرد: جماعة من الشعراء يضمرون في أشعارهم غير ما يظهرون، ومنهم ابن حازم وكان يتعاطى الشعر في القناعة وينسب إليها نفسه، وكان في نهاية الشره. وأبو العتاهية قال الشعر في الزهد والدنيا، وكان يعرض في دينه. وأبو حكيمة الكاتب صرف العشرة إلى وصف الغثّة ونسب إليها نفسه، وكان أنكح من ابن المعتز. وجحشونه استفرغ معانيه في وصف [الانية][1] وادعاها لنفسه، وكان ألوط من دب. وأبو نواس يتشبب في أشعاره بالغلمان وينسب نفسه إلى تعاطيهم مجانة، وكان زير النساء فمن قول أبي نواس:

للطمة يلطمني أمرد
تأخذ مني العين والفكّا
أطيب من تفاحة في يد
غانية قد حُشيت مسكا

وقال أيضاً:

عليك بالمرد فاركب في مراكبهم
إن النساء مطيات الشياطين

وقال أيضاً:

سأمحض من ينيك المرد ودّي
وأقلي من يرى نيك القحاب
فما ناك القحاب فتى كريم
ولا كهل تزيّن بالخضاب

(١) هكذا في المخطوط.

وقال أيضاً:

طمعت في قحبة
رب راج مخيب
قلت لمّا رأيتها
أسفرت لي تنقّب
اطلبي لي مواجراً
واذهبي أنت فاقحبِ
إنني لست مدخلاً
إصبعي جحر عقرب

وتزوج أبو نواس امرأة ثم هرب منها في أيام وكتب إليها:

صاحبة القرقر لا تسغبي
تحملي طالقة واذهبي
مري فكم مثلك من حرة
رائعة لم تك من مطلبي
لا أبتغي بالظلم ملمومة
ولا أبيع الظبي بالأرنب
لا أشتهي الحيض ولا أهله
غيرك أشهى منك في المركب
بلى فإن كنت مثلي علامته
من شرط مثلي فردي مشرب
لا أدخل الشق يدي طائعاً
أخشى من الحية والعقرب

مجامعة النساء، وأنقى على الجسد وآمن عليه من الأمراض الحادثة من نكاح النساء. وهذا رأي الرؤساء وأرباب المناصب والمترفين من الناس، المراعين حفظ أجسامهم والمحاذرة على أنفسهم. ومنهم من يتخذهم للخدمة والاستعانة بهم في الأسفار والتغرب، فلطول الخلوة معهم والاختلاط بهم، تدعوهم الشهوة إلى مجامعتهم، لا سيما في أوقات الدعة والخلوات في الحمامات، ومجالس الشرب، وحالات السكر التي تظهر فيها محاسن الغلام ورشاقة حركاته.

ومنهم من يتخذهم كراهة للولد وهرباً من الذرية والنسل لشح الإنفاق أو خوفاً من عار البنات. ومنهم من يتخذهم للاستعلاء والإظهار عليهم بالنيك والقهر لهم، واستلاب النخوة والكبر منهم. قال أبو نواس:

نـك ابـن الـعـمـة الأمـرد وابـن الخالـه
ومـن أذاك فـي الـدار فـنـكـه وكـل مـالـه

ومما قلته في هذا المعنى هزلاً:

ثـلاثـة نـيـكـهـم واجـب
أشـفـى مـن الـصـحـة لـلـصـدر
ذو الـكـبـر والخسـة والـ
عـلـق لـلـذه والحاسـد لـلـقـهـر

وقلت من أبيات:

ولـو أن الـعـواذل أنـصـفـونـي
رأوا نـيـك الـعـلـوق مـن الـصـواب
يـلاقـونـا بـتـعـبـيـس وتـيـه
فـاسـلـب تـيـه أولاد الـقـحـاب

وقلت أيضاً في معناه:

من كفّ ظبي أحور أحوم
مخضّر مجرى الصدغ والشارب
أسلبه بالنيك تفحيله
ما الفجر إلا غلب الغالب

وقلت أيضاً في المعنى:

قالوا اترك المرد ودع نيكهم
فنيكهم إحدى الصفات الخناث
قلت لهم أيري له همة
لم يرض منّي بركوب الإناث

وحكي أن مؤذناً ناك نصرانياً في مسجد فظهر عليه وهو ينيكه، فقيل له: ويلك تصنع هذا في المسجد؟ فقال: إنما أطلب به الأجر، أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً﴾[1] فأي موطن يكون أشد غيظاً لهم من ذلك، أم أي نيل أشفى من عدو من ذلك.

ومنهم من يتخذهم لديون يقضيها وذحول[2] يقتضيها، ذلك أنه يكون في حال صغره تحت العفج، فإذا كبر لم يكن له همّ إلا اتباع المرد، وهذا يكون أعلم أهل هذا الفن وأعرفهم بغوامض أسراره، وأدقّ نظراً في رياضة من يعانيه من المرد من جهة معرفته بأموره وأحواله في الصغر.

ومنهم من يفعل بالصبي مرة على وجه العبث فتوافق منه لذة،

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٠).

(٢) **الذحول**: هو طلب المكافأة بجناية جنيت عليه من قتل أو جرح ونحو ذلك.

فتغريه تلك اللذة التمادي على الفعل، ويصير له عادة ويتخذه ديدناً، ليس لذلك سبب إلا تذكر تلك اللذة الذي وافقها عند الابتداء، كما قال أبو نواس:

وخـطـيـة تـعـلـو عـلـى مـشـتـاقـهـا
يـأتـيـك آخـرهـا بـطـعـم الأول

وقد تستمر العادة على شخص واحد، فلا يحب الاستدلال به، ولا يستلذ بغيره، ولا يملّه في الحداثة ولا في الالتحاء ولا في الكهولة. وقد رأيت هذا في زماننا، فإنه وجد شيخان ليس في لحية كل واحد منهما شعرة سوداء، وأحدهما ينيك الآخر، فحملا إلى والي البلد، فاستقرهما فأقرّوا، وقال المفعول به: نحن على هذا من أيام الصغر، وكلما قلت قد كبرنا عن هذا الشيء. قال: ما بعد أمس من اليوم، هذه المرة وتتوب. فنفي أحدهما من البلد ليفرق بينهما، فصارا يجتمعان في خارج البلد حتى فرّق بينهما الموت.

ومن الاحتجاج في تفضيل الغلمان، أن الرجل يقوم من نيك أحدهم نشطاً سالماً من العسم(١) والكسل الذي يعتريه من أنفاس المرأة، ثم إن نفس المرأة في وجه الرجل عند مضاجعتها مما يعجلّ الشيب إليه قبل وقوعه منه في غير وقته.

ومن ذلك أيضاً أن في الجحر من الضيق والحرارة ما ليس في الحر، فإن الذكر إذا دخل في الجحر انضمت عليه حلقته فهي ملامسة له في دخوله وفي خروجه إلى طرفه، وهذا ليس هو في الحر لأن الموضع الضيق من الحر لا يملك الأير جميعه، وإنما ضيقه من داخل الشفرين، فلا بد أن يبقى من الأير فضلة لا ينضم عليها

---

(١) **العسم**: يبس في المرفق والرسغ تعوج منه اليد والقدم.

شيء لأن المرأة لا تقدر على ضمّ شفرها، ولا ينطبع الحر على الأير كانطباع الجحر عند التقائه عليه مستديراً.

ومن ذلك أن نايك الأمرد يأمن منه تأمل عينه وتصفح شيبه، وغايته أن يوليه ظهره ويسلم له حجره، ويسلم تصرف همه إلى التحفظ والتحرر مما يخاف اندفاعه وقت العمل، وقلت في ذلك:

لما رأت شـيـبـي بـدا أعـرضـت
ولم أنـك مـنـهـا الـذي رمـتـه
اعـتـضـت مـن شـيـبـي لـهـا أمـرداً
لا يـبـصـر الـشـيـب إذا نـكـتـه

ومن ذلك:

أن المرأة يشغلها الحيض عن لقاء عاشقها ويحول بينها وبينه، ويخلف الميعاد المنتظر بعد طول المدة ومكابدة الشوق، وقد تعلل بالشوق وتدافع به بعض من تكره ولا حيض معها، وليس في الغلام شيء من ذلك، وإنما هو كالدابة الذلول(١) متى شاء صاحبها ركب ومتى شاء نزل.

قال بشار:

أقـول وقـد راح الأوانـس حـيـضـاً
بـنـفـسـي غـزال لا يـحـيـض ولا يـلـد

ومن ذلك عدم الغيرة التي في النساء على الرجال، فإن الغيرة إذا كثرت من المرأة تكدّر على الرجل عيشه، وتغضب نفسها عليه، وربما كان سبباً للفراق بينهما، وإن كان الأمرد فيه بعض الغيرة من أمثاله فليس مثل المرأة.

(١) الدابة **الذلول**: الدابة السهلة القياد.

ومن ذلك أن فيه حمية على صاحبه، فإذا رآه وقع في شدة دفع عنه وقابل عدّوه، وربّما كان صاحبه ضعيفاً عن خصمه فيكفيه ما يعجز عنه من مكافآت الخصم.

ونظر بعضهم إلى شاب أمرد فقال: هذا يصلح للفراش والهراش.

ومن نوادر الاحتجاج

قالوا: الأير أولى بالجحر من الحر لأنّا نجد عدد حروف الأير في حساب الجمل ما بين أحد عشر، فبهذه النسبة صار كل واحد منهما أولى بالآخر، ولم نجد بين الأير والحر مناسبة من هذه الطريق. ومما صنفته أنا من هذا النوع: ما الحر إلا طيب، فجملة عدد حروفه ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون، ويوافق عددها من الكلام، لكن لجحر أطيب فعدد هذا أيضاً مثله.

ومنه أيضاً: الجحر عندنا أطيب من الحر، فجملة هذه الحروف سبعمائة وثمانية وستون، فيقابل عددها من الكلام لقد صدقتم، فنجد عدد هذه الحروف مثله.

وقال أبو تمام وقد عدله بعض أصحابه في أمرد:

لا تعدلني يا أبا جعفر
عدل الأخلاّء من اللوم

است له مشربة حمرة
كأنها وجنة محموم

وقال آخر:

الأير للجحر حربة ندبت
لو كان للكس كان كالفاس

ما خلقت هذه مدورة
إلا لهذا المكرعم الراس

وقال أيضاً:

يقولون نيك الكس أشهى وأطهر
فقلت لهم أيري عن الكس يصغر
وقايسته بالجحر جاء موافقاً
ولا لاتفاق الجحر والأير منكر
فلا تعدلوا فيما فعلت فإنني
لمصلحة الأير الذي لي أبصر

وقال محمود الوراق في امرأة تتشبه بالغلمان:

رأت زي الغلام أتم حسناً
وأدعى للفسوق وللأنام
فظلت للتشبه منه تسمو
وأين النجم من بدر التمام
يعاف الرب بكرتها وفيكا
ويلعب بالديوك وبالحمام
وتغدو بالصوايح كلّ يوم
وترمي بالبنادق والسهام
فهبها قد حكته وجاوزته
بحسن الدل منها والقوام
فكيف لها بحيلة سد شقٍّ
بعيد القعر ليس بذي التمام

وقال بعض المتقدمين: وقف لي بهلول وقال: استمع مني

مسألة، فقلت: قل. فقال: الحر مسلم أم كافر؟ فقلت: هو على دين صاحبته، إن كانت كافرة فهو كافر، وإن كانت مسلمة فهو مسلم. فقال: ما صنعت شيئاً. قلت: فافتني! قال: الحر كافر على كل حال. قلت فما الدليل؟ قال: ألم تر إلى المرأة إذا سجدت للصلاة كيف يتحول وجهه عن القبلة.

وقالت امرأة لمخنث: ما أعظم مصيبتي فيك. قال: مصيبتك في حِرّك أعظم. قالت: وكيف؟ قال: لأنه ثبج[1] وجهه، وسوّد جبينه، وقطع لسانه، وحفر إلى جنبه كنيف.

والناس في اختيارهم المرد مختلفون، فمنهم من يميل إلى الحدث الذي لم يراهق، وهو أنعم وألذ ملمساً لنقاء جسمه ولين بشرته، وهو أيضاً أقرب إلى الانخداع، وأسهل انقياداً لحب الدراهم والملاهي.

ومنهم من يميل إلى الشاب البالغ الذي قد اخضرت منابت شعرته أو كادت أن تنبت وامتلأ بهجة، ورمقته عيون النساء. ويقول: هو أصبر على شدة الفحج، وأجدر أن لا يتململ تحت نايكه، ولا يعجله قبل فراغه، لأن الحدث وإن كان أشهى مضاجعة وألذّ ملامسة، فإنه لا صبر له إذا اشتد الرهز عليه لا سيما عند الإنزال، وينشد قول الشاعر:

وابـن الـلـبـون إذا مـا لـزّ فـي قَـرَنٍ

لم يستطع صولة البزل [الفناعيس][2]

وهذه حجة مقبولة. ولا يكره الأمرد البالغ إذا كان في ابتداء

---

(١) الثبج: هو النتوء.

(٢) هكذا في المخطوط.

بلوغه، ولم يشرف شعره، ولا خشن شعر استه وشعرته من تكرار الحلق، ولا تدلت خصيتاه من غشيان النساء.

ومنهم من يختار من المرد الذي غلظ واشتد خلقه وعنا وثقل عذاره[1]، وخشنت منابت لحيته أو مناتفها، وكثر غشيانه للنساء، ولا أدري ما حجة صاحب هذا الرأي غير أنه ينشد الأشعار في وصف العذارى كقول أبي نواس:

تلك اللحية روضة
خضراء تنبت في زهر
الآن طاب وإنما
حسن النهار على الشجر

وما شابه هذا من الأشعار. وصاحب هذا الاختيار عندي متهم السريرة، وبه اشتهر أهل الموصل وعرفوا به. وينشد بعضهم:

كتب العذار على صحيفة خدّه
سطراً يحير ناظر المتأمل
بالغت في استخراجه فإذا به
لا رأي إلا رأي أهل الموصل

وقد احتج أبو تمام لنفسه في حبّه ملتحياً بحجة ليست بحجة قاطعة. وذلك قوله:

قالوا الوشاة بدت في الخد لحيته
فقلت لا تكثروا ما ذاك عابته

(١) **العذار**: عذار الرجل: شعره النابت في موضع العذار. يقال: ما أحسن عذاره أي خط لحيته.

الحسن منه على ما كنت أعهده
والشعر حرز له ممن يطالبه
أبهى وأحسن ما كانت محاسنه
إذ سال عارضه واخضر شاربه
وصار من كان يلحى في محاسنه
إن سأل عنه وعنّي قيل صاحبه

فقوله: والشعر حرز له ممن يطالبه: دليل على عدم الرغبة والنفور عنه من ذلك الحرز. وأحسن منه حجة في مخالفة مذهبه الذي يقول:

بدا الشعر في وجهه فانتقم
لعاشقه منه لما ظلم
ولم يبد في وجهه كالدخان
إلا وأسفله كالحمم
إذا اسود فاضل قرطاسه
فما ظنكم بمكان القلم

على أن أبا تمام قد ناقض قوله بقوله حيث قال:

تخيرك الكبار يدل عندي
على أن الرحا قلبت ثقالا
وإلا فالصغار ألذّ لمساً
وأشهى إن أردت بهم فعالا

ومن المرد من يبطىء عنه نبات الشعر بعد بلوغه زماناً طويلاً، ومنهم من لا يمهله شعر الاست، والشعرة أسرع نباتاً من سائر الشعر الذي في الجسد.

ومن الحزم عندي تجنب البالغين العتاة من المرد، الذين قد عاشروا النساء وداوموا على النكاح وإن لم يشنهم الشعر، فإن في تجنبهم سلامة من اتّهام علة الخلاف، ونجاة من مكايدهم ومكرهم باللاّطة، فإنه قد يخرج أحدهم وقد ملئت استه منياً، أو لطخت فخذاه خرا، فيسبق نايكه إلى المتوضى، وقد زوى ما بين عينيه، وشمّر أنفه، وحمل أيره بيده، ويقول: خزى هذا المأبون وقبح الله من ينيكه، هذا فمن لم يعرفهما قطع بصدقه، ومن عرفهما صار بين الشك واليقين. ولا دليل يفرق به بين الفاعل والمفعول به، وهما مشتركان في التلويث إلا إن فتحت إست كل واحد منهما ونظرت عين الخرا من أين يبعث، فلا يتوصل إلى أن يراه الفاعل إلا بما هو أجدى عليه مما اتهم به، كقضية الربيع صاحب النعمان مع لبيد وخبرهما مشهور.

وقد يستمر الرجل على نيك الأمرد مرحولاً[1] زماناً طويلاً لا يمتنع عليه ولا يأنف منه، ثم يضمهما مجلس شراب أو غيره، فإذا أراد نيكه كعادته يتكيء ويتم ويظهر الأنفة والرفع عمّا يسومه. وأوهم الجماعة أنه هو الفاعل، وربما حمله إفراط الحمية على نفسه أن يقهره وينيكه، أو ما يقرف من نيكه، وقد جرى هذا على بعض أهل زماننا.

على هؤلاء أمر خطر لا يكاد صاحبه يسلم فيه من مكروه يقع فيه، فكم أنف هشمت، وسن كسرت، ورأس شُجت عند انتباه المدبوب عليه.

ولا يتمّ الدبيب على أحد إلا بعد إسكاره، فإن انتبه حال الفعل

(١) مرحول: يقال رَحَلَه رحلة أي شدَّ عليه أداته.

به لم يكد ينجو منه غريمه، وإن انتبه بعد الفراغ منه فهو أسلم للفاعل لأنه يحرص على ستر نفسه إذا غلب على ظنّه أنه لم يعلم به أحد من أهل المجلس، وإن أحدث فمن سعادة الفاعل، لأن دناءة الإحداث تكسبه خسّة، وتؤمن غريمه الجرأة عليه منه، ومن ذلك الوقت فهمّته ستر ما نزل به عن الحاضرين، فإن تحقق أنه قد علم بنيكه وعرف خصمه،ولم يكن مبذولاً للنيك ولا له عادة بأن يناك، لم يأمن صاحبه حقده وسوء الجزاء ولو بعد حين. وإن كان مبذولاً للنيك فلا بدّ له في المجلس من بادرة شر على ما يقتضيه حاله، إما بلسانه أو بيده. قال أبو نواس:

إذا هجم النيام فخل عني
وعن من كان يصلح للدبيب

فإني عارف فطن أديب
ولا ينيك مثل فتى أديب

ألذُّ النيك تأخذه سراراً
بمنع الحب أو منع الرقيب

أيا ويلي على ولد النصارى
فرب منعم منهم ربيب

كأن نواعم الأعطاف منهم
قضيب مال في أعلى كثيب

يمتع بالذي أهواه منه
وظن فليس بالمعطي النجيب

ظفرت بمعقد الزنار منه
وقد غفلت عيون المستريب

فـجـلـت بـحـفـه بـالـردف مـنـه
فـيـا لـلـهـو مـن لـين وطـيـب
فـلـمـا اشـتـد لـلـشـبـق اضـطـرابـي
وهـيـجـه بـدغـدغـة الـقـضـيـب
تـنـبـه حـين هـيـجـه فـعـالـي
وأنـكـر حـالـتـي ورأى وثـوبـي
فـقـام يـسـبني ويـشـيـر نـحـوي
فـقـلـت لـه تـرفـق يـا حـبـيـبـي

واعلم أن الدبيب على النساء أسلم وآمن عاقبة من الدبيب على الغلمان، لأن المرأة إذا أحست بالأير فيها انحلت قواها واستسلمت، فلا تطيق الدفع عن نفسها بعد أن يتملكها الرجل ويتمكن منها، ولو أطاقت رفع الرجل لقهرها سلطان الشهوة الكامنة فيها. ولم نسمع بامرأة قط نزعت أير رجل من حرها كراهة له، ولا استقر لها غضب في تلك الحال. وفي الحديث: **«رضاهن في فروجهن»**[1].

وينبغي للرجل الحازم إذا ابتلي بالدبيب على الغلمان، أن لا يدب إلا على حدث أو على من هو أضعف منه، فإن اضطر ودبّ على من هو أعتى منه ولم يأمن شره، فينبغي له التثبت والاحتراز والأخذ بالحزم، فإنه إنما يقدم على خطر منه بين إدراك بغية أو وقوع في محنة.

فمن الحزم أنه إذا همّ بالدبيب على من يأمن شره، فلا يغمز

(١) هو جزء من حديث طويل رواه جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي انظر علل الشرائع ج٢ ص ٥١٣ وانظر أيضاً وسائل الشيعة ج٢ ص ١٨٠ حديث ٢٥٣٦٧.

بعينه حالة الصحو، ولا يضحك إليه، ولا يحييه بكأس ولا بشيء غيرها، ولا يدفئه إذا نام، ولا ينام قريباً منه، فإن ذلك كله يكون سبب التحرز منه، فيعسر عليه مراده منه عند الحاجة، ولو دبّ عليه غيره من أهل المجلس لم يقع ظنه إلا عليه، فيجازى بجريرة غيره، فإذا نام فلا يقم إليه في أول نومه من السكر ولا في آخره، فإنه في أول النوم يمكن أن يكون متناوماً ليسترق ما يقع في المجلس، ولا يغتر بما يراه من شدة سكره، فإن السكر لا يغيب الذهن إلا إذا أعانه عليه سلطاناً. وفي آخر نومه فإنه قد يكون آن وقت هبوبه من النوم مع الصحو من السكر، فهو أقرب للانتباه بأدنى شيء؛ والأحسن أن يكمن له حتى يتوسط في النوم، ثم لا يعجل عليه بالنيك حتى يختبره بما يعلم أن المتناوم لا يصبر على ألمه، ويعلم منه أن النوم قد ثقل عليه.

وحدثت عن بعض أهل زماننا أنه كان مغرماً بالدبيب على من يسكر عِنده، فإذا هَمّ بالدبيب على أحد تركه ساعة حتى يعلم أن النوم قد تمكن منه، ثم يقول لغلامه: قم قربه. فيقوم الغلام فيمد رجلي النائم ويسوي كعبيه إحداهما على الأخرى، ثم يرفع العليا منهما ما استطاع، بحيث أن يكون الكعب الأعلى موازياً للكعب الأسفل، ثم يرسل رجله المرفوعة فيقع الكعب على الكعب، فإن تحرك أمهله ساعة، ثم وزنه مرة أخرى، فإن لم يتحرك علم أن ألم النيك دون ألم ذلك، فيقوم له حينئذٍ وهو على بصيرة من أمره.

والأحسن عندي أن لا يختبر المدبوب عليه إلا بما يمكن أن يكون من غير تعمد، مثل أن يقوم فيطأ عليه وطأة شديدة كأنه لم يره، أو يقع عليه بجميع حيله كأنه عثر به ليجد منه عذراً إن انتبه، هذا إذا لم يكن في المجلس غيرهما، فإذا كان في المجلس غيرهما

فليقم فزعاً من مكانه كأن بعض الطواحين وقع عليه، ويقصد بوطأته ذلك الشخص الذي وقع عليه يريده، فإن لم يتحرك لم يغتر بقلّة حركته، فإن منهم من يصبر على الألم ويتكلف ذلك دهاءً وخبثاً، إذا علم أن في المجلس ما يصوله وكان واثقاً من نفسه بالغلب فيستدرجه ليتمكن منه. فالوجه أن يمهله بعد الاختبار قليلاً، ثم يعود إليه فيكشف ثوبه عن إسته، وهو متباعد على غاية ما يمكنه من الحذر، فإن ذلك أول حالة يخشى فيها الشر. والنائم عند كشف ثوبه سريع الانتباه، فإنه ينكر ذلك بالعادة، فإذا كشف ثوبه أمهله قليلاً ونظر، فإن كان غاطاً في نومه وغطى نفسه بثوبه أمهله قليلاً، ثم عاود بذلك، فإن استمر نومه وهو مكشوف الأست، وضع فيها الريق وهو على حاله من التباعد والحذر، فإن لم يتحرك فينفخ في استه على رطوبة الريق، فإن لم ينتبه لبرد الهواء في استه لم ينتبه لدخول الأير، وعلم أن النوم والسكر قد ثقلا عليه، فيتقدم حينئذٍ عليه.

فإن كان نائم في سراويل، فالوجه أن يشقه من فوق استه، فإن حلّ التكة فيه عناء طويل، وربما أن يكون قد احتال وعقدها أو انعقدت من غير علمه كما قال:

واشقق سراويلاتهم لا تنتظر حلّ التِكك

فإذا اتفق للدباب الظفر بمطلوبه وتمكن من مراده، فلا يترك الحزم ولا يغتر بما قد اختبر من حال النائم، وليعمل لدخوله مخرجاً، وذلك أن يضجع النائم على أحد جنبيه، ويرفع فخذيه إلى بطنه ما أمكنه، ويجمع كفّيه إحداهما إلى الأخرى عند صدره، ويضع يديه عليهما ويده الأخرى وراء ظهره وراء أليته السفلى، ورجله التي تلي بطنه وراء فخذيه، فإن أحسّ بانتباهه فلتكن وثبته

عن التفاتة إلى ظهره ليأمن من خطفة اليد ورفسة الرجل، وليحذر عند انهماكه في نيكه أن يدني رأسه منه، فإنه إن خطفه بيده، وكان له شعر تمكن منهم وعجز عن الخلاص، وإن لم يكن له شعر فلا بد أن يصيبه بلطمة تدهشه عن الاهتداء لطريق نجاته منه. وأقل شيء أن يكون قد عرف منه علامة بلمس رأسه، إما بشعره أو بحلاقة قريبة أو غير ذلك، فربّما لم يكن في المجلس محلوق أو صاحب شعر غيره، أو يكون على رأسه منديل فيقع منه فيعرف به، أو يصبح في وجهه خدش فيكون فضحه إلا أن يكون عيّاراً رقيعاً لا يتقي فضيحة ولا يهاب شراً، فلا يحتاج إلى احتراز مما ذكرنا. ولا يمكن الدبيب إلا بعد إطفاء المصابيح، وفي عدم الضوء من القمر أو غيره.

وقد جعل بعضهم للدبيب آلة، وزعم أنه لا يستغني عن شيء منها، وهي: القدح، والزق[1]، والخطّاف[2]، والخيط، والتراب، والسماق، والمقراض. **فالقدح** يخرج طرفه من داخله، حتى يصير كهيئة البوق، ثم ينفخ فيه إلى المصباح فيطفئه به. **والزق** ينفخ فيه حتى يملأه هواء، ثم يضع عليه ثيابه ويتركه في الموضع الذي نام فيه لئلا يفقده من هو نائم إلى جنبه ويظنه إياه. وقيل: إذا رأى صاحبه قام نام إلى جانبه، يأخذ الزقّ بينهما، ونفخ فيه ليفرق به بينهما، ويظن كل واحد منهما أن زحمه الزق من الذي يليه، فيتأخر عنه، ثم يخرج الزق ويدخل هو مكانه. وأما **الخطّاف** فينشبه في الفراش ويربط فيه الخيط من موضع منامه إلى موضع المدبوب عليه ليهتدي به إذا رجع ولا يغتر بأحد من النوام فينتبه. وقيل: ينشبه في ثوب

(١) **الزق**: كل وعاء اتخذ لشراب ونحوه.

(٢) **الخطّاف**: هو الحديدة المعوجة كالكلوب، يختطف بها الشيء.

الذي يريده قبل منامه من حيث لا يراه، ويكون آخر الخيط عنده، فإذا قام في الظلام اهتدى إلى غريمه. ومن شرطه أن لا يكون الخيط طويلاً، والخطاف بقدر الإبرة.

والتراب يذرّه على أجفان النائم ليشتغل عنه بما يقع في عينه منه عند انتباهه. وقيل: بل هو إذا رأى غريمه مستلقياً، ذرّ على وجهه التراب، فلا يتمالك أن ينقلب على أحد جنبيه ويظنه من السقف. **والمقراض** يقرض به التكة أو السراويل من خلفه. **والسماق** يمضغ منه شيئاً يستدر به ريقه، فيخرج وفيه لزوجة تعينه على انزلاق الأير، وهذه آلة تسرع إلى صاحبها بالفضيحة والشنار قبل العمل بها، ولا بأس بالمقراض والتراب.

وحكى أبو العنس الصمدي قال: أحضر دبّاب في مجلس صالح بن عبد القدوس، ومعه مخلاة معلقة على عاتقه، فنظروا، فإذا فيها مخدّة صغيرة وخرقة فيها تراب، وخرقة أخرى فيها ملح، ورقعة صغيرة فيها خطمي وقوّامة: وهي خشبة مخروطة ملساء الرأس كالأير، وشيء من اللعاب وحلقة، ومقراض، ونعلان من لبد، وكويزة ضيّقة العنق، فأمر صالح بن عبد القدوس بغمر رأسه بين الخشب إلى أن يقر بحرفته، فقال: الأمان أصلح الله الأمير. فقال: أنت آمن إن أخبرتني فأصدقتني. فقال: أنا رجل دباب، استعملت هذه الآلة للدبيب، **فأما المخدة**، فإني إذا هممت بالدبيب على إنسان، وأردت اعرف نومه ومبلغ سكره، رميت بها عليه، فإن انتبه تضاحكت له وقلت: جعلت فداك ضعها تحت رأسك، فيحمدني على ذلك وآمنت من أنفته. وأما **التراب** فإذا رأيته نائماً على قفاه نثرته على وجهه فإنه يتحرك على جنبه، ثم أنثره على مسامعه فإنه ينام على وجهه. وأما **الملح** فأنثره حوله لتنزلق رجليه

عليه إن قام إلى شر. وأما التعلان اللبد فإني ألبسهما عند قيامي إليه لئلا يحس بوطيئتي. وأما الحلقة فأدخل فيها على ما أستر من السراويل ثم أقطعه بالمقراض، ثم أدهن شعره بالخطمي والريق بالقوامة مخافة أن ينتبه فيمسك بذكري أو بيدي ثم أندفع بالعمل. وأما الكويزة فتكون معي كأني قد عطشت فقمت للماء، وإن انتبه وضعتها على فمه لئلا يصيح. قال: فتعجب صالح من حذقه وضحك حتى استلقى على قفاه، ثم إنه استتابه وحلّفه وأحسن إليه.

ومن الحزم أن لا يدب على أحد من أهل المجلس، ولا على من له رهط يحرصونه ولو أمكنته الفرصة، فإن المدبوب عليه لا بدّ له أن يعلم أنه نيك وإن لم ينتبه في حال النيك، فلا يشك أن غريمه ذلك الأجنبي، فلا يأمن عليه سوء الجزاء عاجلاً أو آجلاً. قال أبو نواس:

دببت وكنت غرّاً بالدبيب
ومثلي كيف دبّ على الدباب
ألم يحط الفريسة حين ألقى
بعينيه على أسد عضاب
ولكني ابتليت بأير سوء
أقام قيامتي في كلّ باب
نزلت بعزتي ليلاً بمرد
فأقبل بالزبير كليث غاب
ويأخذ في النعاظ فلو تراه
يسيل لعابه مثل المصاب
وقفت لرحمة مما اعتراه
من الفقرات في طلب العراب

وبعض القوم قد ناموا وقوم
خماة للنيام من الذُّباب
فلما عيل صبري لاشتكائي
وتبت من البلاء لعظم ما بي
إلى قمر يداخلني هواه
من الأسى طال له طلابي
ففزت بحل تكتّه وإني
لموقر منه أحذر من غراب
فلما قلت قد ظفرت يميني
تنبه كالمفيق من الشراب
فبارزني وصاح إلى أخيه
عجبت ورب فاتحة الكتاب
فلولا أنني خاصرت ليلاً
لضرب يساره بين الشباب

فللدبّاب حيلة تقربه من السلامة، وهو أن يأخذ دراهم يصرّها في بعض ثياب النائم الذي يريد الدبيب عليه عند ثقته بثقل نومه وتمكن السّكر منه، ونيكه على ما تقدّم من الحذر والحزم، فإن فرغ منه وهو نائم أخذ دراهمه، وإن أوقعته القدرة في يده قال: ولم غدرتني وأخذت دراهمي ـ وتذكر عددها ـ فإن أنكر وحلف ووجدت الدراهم على ما ذكره من العدد مصرورة معه، وقعت عليه الظنون من أهل المجلس، ولا يعدم أن يستولي عليه الخجل، فيعينه ذلك على بهته(١) ويجرئه عليه. وقد يكون في المجلس من به

(١) بهته: بهتُّ الرجل أبهته إذا قابلته بالكذب.

الداء الخبيث، فلا يكره أن يدب عليه فيتناوم ولا يتحرك عند الاختبار، ويعرف لخفوت حسه، وسكون نفسه، وقيام أيره عند نيكه. قال أبو نواس:

ومنيته من نومه بعد هجعة
وقد دبَّ ربُّ البيت سراً إلى الساق
فأولج فيه مثل أسود سالخ
أصم من الحيات ليس له راق
فلما انتحى عنه تحرك وانثنى
وأطرق عند النيك أحسن إطراق
فقلت له لا تلفين مقصراً
ولا مشفقاً في غير موضع إشفاق
أحد عضّ خصيتيه فإن سكوته
سكوت فتى صبأ إلى النيك مشتاق
فلو لم يكن يقظان ما قام أيره
ولا ضمّ عند النيك ساقاً إلى ساق

وإذا فكر العاقل في الدبيب لم يجد حلاوة الظفر، بقي منه بأقل الحذر، ولا التجاه من الفرار بقوم بالوقوع في العار.

ويحكى أن الفرزدق نزل برجل من العرب، فأكرمه وأحسن ضيافته، فلما نام الرجل دبّ على زوجته، فانتبه فسلّ عليه السيف، فأفلت من يده هارباً، وبقي عار ذلك في عنقه حتى قال فيه جرير يعيّره بذلك من جملة ما يهجو به فقال:

وكنت إذا نزلت بدار قوم
رحلت بخزية وتركت عارا

وأقرب الدبيب إلى السلامة ما كان باتفاق الدبّاب والمدبوب عليه، ومساعدة منه على حارسه.

والمرد طبقات، **فالطبقة الأولى**: أولاد المترفين من أرباب المناصب وأهل النّعم، فمن كان من أهل هذه الطبقة فنيكه سهل المتناول خفيف المؤنة، وأكثر من يفوز بهم من لا نوبة له من الخدم، ومن يتّصل بهم من أطراف الناس ممن لا ينكر عليهم الاختلاط بهم، فيستميلونهم بأدنى شيء من الملاهي واللعب، والحمام أفسد ما يكون لهم وأحلى موقعاً في قلوبهم من الدراهم، فبذلك يقدر عليهم أهل هذه المنزلة.

وأما المترفعون من الناس فلا يصلون إليهم إلا بقيادة الخدم ورشوتهم أيضاً، وللمعلمين أيضاً على نيكهم اقتدار وتسلط. وكثير ما تحدث العداوة بين المعلم والخدم على الصبي، ويحرص كل واحد منهم عن صاحبه، وإذا استعدوا عليه ناكوه وقادوه. ويحكى أن حمّاد عجرد كان مؤدب لبعض الرؤساء ولده، وكان أبو نواس يغشى مكتب الصبي ويصوله، فحرسه حماد عجرد أشد الحراسة، فكتب أبو النواس إلى الصبي رقعة وختمها، وسأل حماد إرسال الصبي بها إلى أبيه وفيها مكتوب:

يا أبا الفضل لا يتم ... رتع الذئب في الغنم

إن حماد عجرد ... شيخ سوء قد اغتلم

بين فخذيه حربة ... في غلاف من الأدم

وهـــو إن نـــال فـــرصـــة
مـسـجـمـح الميـم بـالـقـلـم

فلما وقف على الأبيات عزل حماد عن تأديب ولد، فسهل الأمر على أبي نواس.

والطبقة الثانية: من أولاد المتمولين من التجار ومن أشبههم من أهل الكسب والحرص، فهم يغلب عليهم حب الدراهم والافتتان بها، فطالبهم لا يحتاج إلى توسط قواد ولا رشوة حافظ، لأن حبهم للدراهم وحرصهم عليها يكلفهم إجابة صاحبها وبذل ما يرومه منهم، ولا ينكر عليهم أهلهم اختلاطهم بالعامة وكثرة غشيانهم الأسواق، وطول جلوسهم فيها ومعاشرة أخلاط الناس، بل يعدونه من سبب الاكتساب والاتجار ويستحبون لهم ذلك، فهذا يسهل على طالبهم في نيل مراده منهم، لكن يبذل الدراهم، فإن أراد تولّى الأمر بنفسه، وإن أراد بواسطة، فالدراهم تسهل صعبهم وتليّن عريكتهم، وقد أحسن الذي يقول:

لـو جـعـل الـدرهـم الـصـحـيـح
عـلـى بـاب حـديـد لـذاب أكـثـره

وأحسن منه قول الآخر:

لـو جـعـل الـدرهـم الـصـحـيـح
عـلـى مـقـدم لـيـث لـدار مـؤخـره

ولا ينفع في رشوة خدم هؤلاء ولا قيادتهم. والأحسن أن لا يجيب الصبيّ عند مخالطته بما يخجله، وينهره من أول وهلة، ولا يسلم الدراهم إليه من غير مقدمة يعرف بها المراد منه، ولكن يبدأه بما يؤانسه، ويداعبه ويرامزه بالكتاب بما يراه حاذقاً فيه، فإن كان ذكياً في الكتابة والتصحيف قال له: آجي وأجدتكم معناه: وأجد

بكم، فإن لم يدرك ذلك سهل بما هو أقرب منه مثل أن يقول: القتل ما يشفي الفؤاد ما تصحيفه؟ ومعنى ذلك: القبل يشفي الفؤاد، ومن هذا وما أشبهه.

والطبقة الثالثة: أولاد السوقة، وأرباب الصناعات، وأطراف الناس، والأيتام المهملين بعد النعمة، فهؤلاء يتعرضون للاطة قبل طلبهم، ويدرجون لهم ظاهراً من غير احتشام ولا حياء، ويحضرون مجالس الشرب معدين أنفسهم للنيك. ويكون منهم الربيط الملازم لنايكه إذا كفاه مؤنته وأغناه عن غيره. وأكثر ما يحتاج أحدهم من هؤلاء إلى غمزة بالعين، أو إشارة باليد، فيسارع باللّحوق لصاحبه الذي أشار إليه. وقد تقع رجل الرجل من الناس على رجل الأمرد من هؤلاء في موضع الزحام من غير تعمد منه، فيتبعه ولا يدري به حتى يسأل عن شأنه. وقد يكون من هؤلاء على ابتذالهم الغريب الجمال، القليل المنال والافتتان، فهؤلاء أسرع من غيرهم لأن من عادتهم كشف أجسامهم، والاستغناء بالأزر عن القمص وما أشبهها، فمحاسنهم كلها ظاهرة، فيظهر للناظر منهم في أول نظرة بما يخفى عن غيرهم.

وقد يكون منهم الصعب المنال، البعيد الاتصال، العسر الانقياد.

واعلم أن للمرد من كل طبقة خبثاً ومكراً بلايطهم. فمنهم من يغرر الرجل بنفسه، ويطمعه في وصله حيلة على أخذ دراهمه، فإذا حازها مانعه وماطله ووعده مواعيد كاذبة، فيديم انتظاره، ويطول ليله ونهاره، وقد يهزأ به ويضحك منه إذا كان يتستر ويستحي ويخاف افتضاح أمره، فيدفعه بذلك عن نفسه، ويأمن من مطالبته إيّاه بما قد حازه من دراهمه أو متاعه. وقد يغري الأمرد بين الرجلين بانتقاله من أحدهما إلى الآخر لكراهة فيه، أو لميل أحدهما إعطاءً

له. وكثير ما يثيرون الفتن بين اللاطة لهذا السبب، ومنهم من يسلم نفسه لنايكه، ثم يمكر به ويتمرد عليه بأن يكثر التململ والقلق والتوجع والتأوه، ولا يمكنه من دخول أيره، ويظهر أنه لم يقدر على ذلك ولم يتعوده، وإنه لم يساعد أحداً غيره إلى نيكه، فالغبي الجاهل بأحوالهم يقبل منه ذلك ويصدّقه ويقنع منه بالتفخذ وإفراغ الشهوة على أفخاذه دون الإيلاج. وأما الحازم العارف بأحوالهم وبأمورهم فلا يغرّه ذلك منه ولا ينخدع له، ولا يرضى منه بدون الغاية بإيلاجه إما بالملازمة أو بالمخادعة أو بالقهر أو بالمناطقة. ومما قلت في ذلك:

لا يغرّنك ضيق ثقبة علق
إن تعنّاه منك أير جليل
إنها كسفرة الزاد ضمت
أو ككس ترى منه خرطبيل

وإذا فصح الأمرد واستنيك أعان نايكه على نفسه وحثّه على نيكه، ويرهز على أيره كما قال بعضهم:

طعنته بين إليته بكى
وقال لم لا تدق في الحلقه
فقلت أخشى عليك يا ولدي
فقال كس أخت هذه الشفقه

ومنهم من يضم إليته على نايكه، فمن كان أيره رخواً عجّزه عن الإيلاج معه، وأوهمه أن العجز منه من قبله، وأنه قد بذل له نفسه معه فعجز. ولا يقدر على الإيلاج معه إلا من كان أيره في غاية الصلابة، وكذلك المرأة التي تستعمل في فرجها المجففات كالعفص وغيره. والمذّي، هو الماء الصافي الذي يخرج من الذكر

عند الإنعاظ وحضور الشهوة، يقطر من غير لذة عند نزوله ولا يجب فيه غسل. وفي الحديث عن عليّ كرّم الله وجهه قال: كنت رجلاً مذاءً، أردت أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستحييت منه لمكانة ابنته منّي، فأمرت المقداد بن الأسود رضي الله عنه، فسأله فقال: **«يغسل ذكره ويتوضأ»**[1].

وحكي أن أعرابياً جاء إلى المازني فقال له: أريد أن تعرّفني معنى هذين البيتين؛ ثم أنشد (يصف أيره):

ولقد عددت بسرف يافوخه
عسر المكرّه ماءه يتدفق
أرن يسيل من القساط لعابه
ويكاد جلد أديمه يتمزق

فقال له: هذه صفة فرس. فقال له الأعرابي: حملك الله عليه.

ومثله ما حكى الأصمعي قال: بينما أنا في طريق مكة ومعي أصحابي، إذ مرّ بنا أعرابي وهو يقول: برجل أحمر في عنقه علاط[2]، وبائعه حرامه، يبيعه بكريان سمروان، وإن عهد العاهد به عند السر. فقلنا له: حفظ الله عليك يا هذا، والله ما أحدنا يحمل على هذه الصفة. قال: وجويرة من الأعراب على حوض تمدره[3]، فأعاد الكلام عليها، فقالت: أعربت لا حفظ الله عليك يا فاسق. فقلت لها: ما تريدين من رجل ينشد عن ضالته؟ فقالت: إنما ينشد أيره وخصيتيه، قبح من ذي خناه.

---

(١) رواه عبد الرزاق في **مصنفه**، ج ١، ص ١٥٨، وورد في **شرح معاني الآثار**، ج ١، ص ٤٧، و**المعجم الأوسط**، ج ١، ص ٢١٩.

(٢) **العلاط**: صفحة العنق من كل شيء وهو أيضاً سمة في عرض عنق الناقة والبعير.

(٣) **تمدره**: تضع عليه الطين، تطيّنه.

والوجه في نيك الأمرد أن تضجعه على أحد جنبيه، وترفع فخذه إلى فخذيك كما تقدم في نيك الحبلى، وتجلس مقابلاً لفقحته[1] مقابلاً بأيره، مقرفصاً على أصابع رجليه، وإن أراد بركت على ركبته وذراعيه، وإن أراد اضطجع خلفه وألصق بطنه بظهره. وهذا الوجه أصلح للأحداث منهم دون الكبار، فإن بطحه على بطنه تمكن من ضمّ اليته وعسر عليه الإيلاج معه، وإن ألقاه على ظهره لم يأمن منه سرعة إحداثه عليه.

ومن اللاطة من يحب أن يخرا الأمرد عليه، ويقول: هو بمنزلة المرأة النضاحة[2] يزيد الرجل شبقاً وجرأة على نيكه. وقال بعضهم: أهوى الخرا لأنه في قعر بيت المستراح. وقال آخر:

أقـــول وقـــد أنمـــت الـــعـــلـــق تحـــتـــي
لأيـــري يـــا عـــريـــض المنـــكـــبـــين
بـــحـــقـــك حـــر هـــذا الـــعـــلـــق رهـــزاً
فـــقـــال نـــعـــم عـــلـــى رأســـي وعـــيـــني

وقوله: على رأسي وعيني فيه معنيان: أحدهما: الكلمة المستعملة بين العامة في إظهار الطاعة وحمل ما يؤمر به المأمور على الرأس والعين[3].

---

(١) **الفقحة**: هي حلقة الدبر، وقيل: الدبر الواسع.

(٢) **النضاحة**: يقال نضح عليه الماء إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش.

(٣) سقط من المخطوط تتمة هذا الباب وبداية باب القيادة.

الباب الحادي عشر:

[في القيادة](1)

منهن المدرمكات: وهن اللواتي يبعن الطيب ويتولجن به البيوت حيلة على هذه الصنعة، وربما حملت الواحدة منهن من النفيس ما له خطر وماء كثير وفعلت كفعل الدلاّلات.

ومنهن المقاولات: ويسمونهنّ أهل البهائم المنجمات، وهن اللواتي يضربن في الحصى البحري، ولهن حيل وتسلط على عقول النساء وتفرس في أحوالهن للتكرر والإدمان، وللنساء فيهن يقين عظيم وحسن ظن وتصديق لأقوالهن، لا يزلن يفزعن إليهنّ في كلّ مهم، فإذا همت الواحدة منهن بقيادة امرأة ولم يمكنها ابتداؤها بما تريد منها، كان أول مكرها وفاتحة سحرها أن تضرب لها بالحصى، وتكلمها ببعض ما تريده المرأة منها. وتقول: وادي الرزق المفترض في فالك، لا بد أن يصل إليك من رجل شديد المحبة فيك. وتصفه لها بما يحسن عندها من الأوصاف الجميلة، وتحذرها من ردّ الرزق الذي يأتيها من ذلك الشخص، وتوهمها أن في رده المضرة العظيمة

(١) ما بين معكوفين ساقط من المخطوط.

في بيت الروح والولد والعاقبة، وأن قبوله سبب الغنى، فلا تدري متى تأتيها الرسالة لطول انتظارها، فإن أرادت حملت الرسالة، وإن أرادت تأكيد قولها دسّت عليها غيرها، وعادت إليها مطالبة بما وعدتها به من البشارة إذا صحّ قولها.

ومنهن الماشطات: وهنّ أدهى وأسلط وأدرى في مدارج أنفاس المرأة لشدة تمكنهن من النساء وكثرة خلوتهن بهن، وظهورهن على محاسن المرأة ومفاتنها والإدلال عليها بتزيينها، فهي لا تحتاج في رياضتها إلى كلّ ما يحتاج إليه غيرها، ولا سيما إن كانت المرأة تربت على يدها وهي صغيرة.

ومنهن الحاضنات: وهن قريباً من المواشط.

ومنهن الجواري الآبقات[1]: تدخل الواحدة منهن الدار التي تريدها كأنها مستجارة من أهلها، وتظهر الجزع والخوف، وتسأل أن تسعى لها في أمانها أو بيعها، وتكثر العبارة والدموع حتى ترحم، ثم تخلو عند سكوتها بمن تريدها، وتسير إليها بغرضها الذي جاءت فيه، فإن انصلح لها الأمر وإلا توقفت غفلة وخرجت، كأنها هاربة إلى موضع آخر تنجو منه.

ومنهن من هؤلاء من تدخل لغير القيادة، لكن تكون عيناً للصوص، فتعرف المواضع من الدار ، مداخلها ومخارجها البيوت وما فيها، ثم تصفه لهم فيدخل اللصوص على بصيرة ومعرفة مما تقدم عليه. وقد تأتي القوادة من النساء الجليلات القدر، ذوات النّعم والأخطار، وذلك أن طول الترفه والتنعم وكثرة الخلوات في التنزه تدعوهن إلى إعطاء الأنفس مرادها من الفساد، وتحبب إظهار

(١) **الآبقات**: الهاربات.

زينتهن لمن يعجبها من الرجال من غير حاجة إلى شيء تأخذنه منهم وترين تعطيل زينتهنّ ومحاسنهنّ من العين، فإذا صحبن امرأة غافلة حسنّ لها الدخول معهن والمساعدة لهن، فإن كرهت وبخّنها وأقلبن رأيها وقلن لها: ما أنت بخير منّا، وأخذنها بالشدّة واللين حتى تفسدنها، فإن كان لها طالب يعرفنه وإلاّ احتلن من أردن لها من الرجال. وهذا الوجه أكثر مما تقدم.

وقد تقود العجائز من الخمّارات، والصغائر المستطعمات، والجواري المعتقات إذا خرجن، ثم يمكن من الدخول موت مواليهن قبل. وقد يقود الرجال والمخنثون ولا يدخلون مداخل العجائز، وإنما يتعرضون للمتبرجات من النساء والمترددون إلى الأعراس والمآتم وما أشبهها، وهم على قيادة المرد أقدر وأصنع.

والقيادة لا تحكم بها إلاّ لمن راض الحرون[1] وقاد الصعب، وأما الذي يجمع بين شخصين، فإن ائتلفا بغير عنايته، فإنما هو رسول ونزيل. قال بعضهم:

وقائل عمرو قواد فقلت له
أفرطت في القول ما عمرو بقواد
لكنه رجل يكريك منزله
بدرهمين وما يبقى من الزاد

وللبيتين معنيين، أحدهما ما تقدم ذكره من الظاهر. والثاني أن الشاعر أراد بقوله: «يكريك منزله» عين القيادة وغايتها، فنفى عنه أدناها واستثنى له أعلاها كما قال الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهنّ فلول من قراع الكتائب

---

(١) الحرون من الخيل: الذي لا ينقاد، إذا اشتد به الجري وقف.

فأوهم العيب في الاستثناء، وجاء بغاية الافتخار.

وللعجائز والمحبين من أهل هذه الصناعة حيل على أخذ الدراهم، تجوز على كثير من نحارير[1] الرجال، وذلك أن الواحدة أو الواحد منهم يأتي الرجل فيقول له: أريد أن أجمع بينك وبين بنت فلان أو زوجة فلان، يذكر له امرأة من ذوات الأقدار الجليلة لم يكن يطمع فيها، ثم يشرع له في وصفها بما تعلق قلبه بها، ويكرره هو حتى يكون هو المطالب لها بما وعدته، فتوهمه أنها تخاطر معه بنفسها لأجله، وتطيل انتظاره بالمواعيد، وتزيد في حرصه بالمواعيد والأوصاف، وهي في خلال ذلك تأخذ دراهمه، تارة لماشطتها، وتارة لجاريتها، وتوهمه أنها رسول حاجتهم إليه، وربما دسّت عليه بعض العجائز بما تلقنها إياه مما يصدق قولها عنده ومن البشارة على لسانها. ثم تقول له: انظر ما ترسل به إلى المرأة، فما يدري من دهشته وفرحه ما يعطي حتى يسألها، فتشير بما أرادت، فإذا قد حازت منه ما تريد، عمدت إلى بعض أطراف المتقحبات غير المشتهرات منهن، ممن يكون عليها مسحة من جمال، وفيها بعض مشابهة من التي واعدته بها، إما بطول أو بقصر أو بلون أو غير ذلك، فتستأجرها ليلة بدرهمين، وتستأجر لها من الحلي النفيس والملابس الفاخرة ما تحتاج إليه، وتطيبها وتوصيها أن تتسمى له بالاسم الذي يعرفها به، فلا يكره أن يرفع من صفتها بما لا تطالب عليه ببرهان وتحل به في منزلة الكرامة، ثم توكل لها من يأتي إليها من العجائز إلى منزلها، فلا يشك المغرور أنه نال ما لم ينل أحد غيره.

وحكي أن رجلاً دخل بعض المدن فأقام بها مدة، ثم احتاج إلى

(١) **نحارير الرجال**: الرجل النحرير هو الحاذق الماهر العاقل المجرب الفطن.

امرأة يتزوجها، فشكا اضطراره إلى شيخ توسّم فيه خيراً، فقال له: أنا أعلم لك امرأة على ما تحب، غير أنها ذات حرفة تحتاج إلى تدبيرها بالنّهار، وهي معك بالليل، فإن سامحت بذلك خفّت عليك مؤونتها. فقال الرجل: لا بأس، وأنا لا أخلو بالنهار، وإنما حاجتي إليها بالليل، فجاءه بامرأة أعجبته، فتزوجها على ما اتفقا عليه، وكان الرجل له صديق فأعلمه باصطناع الشيخ له في التزويج، فسأل منه أن يسأل له الشيخ بتزويجه ففعل، فقال له الشيخ: أنا أعلم له امرأة جيدة، إلا أنها لا تخلو بالليل وهي معك بالنهار، فرضي، فأتاه بامرأة أعجب منها فتزوجها على الاتفاق، فلم يلبثا إلا مدة يسيرة، حتى ظهر لهما أن الشيخ زوجهما بامرأة واحدة، فألحّا عليه بالتعنيف والسبّ، وجرّاه إلى حاكم البلد، فلما أحسّ بالشرّ بكى فقالا له: ما لك تبكي؟ قال: هذا جزاء من زوجكما زوجته.

وللقوّادين من الرجال والنساء مشاركة في لذات من يقودونه ومن يقودون معه، مع ما يحرزون من الدراهم منهما، وقد ينيك القوّاد المرأة والأمرد إذا كان رجلاً. قال بعضهم:

إن القيادة محمود عواقبها
فيها النخاسيس واللذات والطرب

وقلت في معناه:

إن شئت أن يحلو لك المعاش فقد
ما ذاق من قاده من معيشته
يأكل مال البخيل من يده
وأنت مستهزىء بلحيته

لـــذتـــه أن يـــنـــيـــك جـــاريـــة
فـــتـــجـــتي أنـــت صـــفـــو لـــذتـــه
الأكـــل والـــشـــرب مـــن حـــواصـــلـــه
والـــنـــيـــك فـــي عـــلـــقـــه وقـــحـــبـــتـــه

وللقوادين أيضاً مكائد ومكر ممن يجمعون بينهم ويتكيدون عليهم إذا لم ينالوا ما يرضونه منهم من العطاء، وخاصة إذا كان الاجتماع في بيوتهم، فيسلطون عليهم من يزحف عليهم بضرب الأبواب والرجم بالحجارة، ويخوفونهم بكل أمر مكروه حتى يخرجونهم أقبح خروج، وربما هرب صاحب البيت من سطحه إيهاماً لهم بحدوث أمر لا يطيقونه، وتركهم في أضيق حال حتى يروا الخروج غنيمة. وقد يحثهم بإخراجهم عند اتفاق لذتهم، ويقول: إن معي من يريد الوصول إلى النساء، وهو أنفع إليّ منكم، ويوهمهم إن لم يخرجوا هجم عليهم وفضحهم.

ومنهم من يكون معه آنية مكسرة ـ من زجاج أو فخار ـ في أغشيتها لا تظهر، فإذا طلبوا منه إحضار نبيذ، قبض دراهم وأخذ بعض تلك الآنية، فيغيب ساعة ثم يعود وقد نضح على ثوبه وعلى ذلك الإناء بشيء من النبيذ، وأظهر لهم التضجّر بهم وقال: عثرت فوقعت القنينة فانكسرت وراح ما فيها، أو زاحمني كذا وكذا، وكنت قد هلكت وما كلفني على هذا غيركم، ويضع القنينة وهي تتقلقل[1] في غلافها، ويلزم نفسه أن لا يعود لحاجة لهم، فلا يرون لهم بدّاً من غرامة ما ذهب من تمام لذتهم، فيسألونه ويتلطفون به

(١) **تتقلقل**: تتحرك باضطراب.

حتى يقبض منهم مثل الأول، ويأتيهم بمن يشاركهم فيه وهم راضون، وقد يسرق منهم ويبيعهم إيّاه ثانية.

ونيك المخنثين والعجائز منهم مما يتوصل به إلى برّهم وحسن معاملتهم. وحكي عن مريد أنه قال له رجل: بلغني أنك جمعت البارحة بين فلان وفلانة في منزلك، فقال: قد كان ذلك، ولكن اسمع الخبر، إنهما لما أكلا تحدّثا ساعة من الليل قالا لي: جئنا بنبيذ فقلت لهما: إن الوقت قد ضاق عن التماس شيء من ذلك، وما عندي منه شيء. فقالا: والله لئن لم تفعل ليلحقنك منّا ما تكرهه. وجدّا في الأمر. فتذكرت أن عندي قطعة حصص[1] كانت قد أهديت لي، فقلت لهما: قد عرفت لكما نبيذاً في موضع وأخذت منهما الدراهم، وقمت فجعلت الحصص في إجانة[2]، وصببت عليه ماء ومرّسته حتى انماع[3]، ثم جئتهما به في قنينة، فذاقا فقالا: هذا غاية غير أنه شديد المرارة، فلما شربا منه قدحين احتاجا إلى الخلاء وأسرع بهما الإسهال، وكان المستراح في أعلى الدار يرقأ إليه بسلم، فوحق القبر ومن فيه، ما التقيا منذ شربا إلا على السلم، وما أقاما إلا إلى الصباح. وقال بعضهم يصف قوّادة:

وأرسلتها أمضى من السيف مقدماً
وأسرع من سيل بليل قد احتفل
تدب دبيب الخمر في كل مفصل
لطافتها في القول والرأي والحيل

(١) **الحصص**: بالضم الورس أو الزعفران.
(٢) **الإجانة**: المركن.
(٣) **انماع**: ذاب.

يـذل لـهـا الـصـعـب الجمـوح[1] قـيـاده
وتـهـدي إلـى بـاب الـضـلال ولا تـضـل
يـرى الـفـطـن الـواعـي عـلـيـهـا غـبـاوة
إذا مـا رآهـا وهـي أحـيـل مـن خـتـل[2]
وتـسـتـخـرج الخود الـكـعـاب[3] ودونـهـا
حـجـاب إذا ألـقـيـت مـن دونـهـا الـكـلـل
يـؤلـف بـين الأسـد والـشـاة لـفـظـهـا
وتـشـرك الـعـفـص مـاء مـن شـغـف الـقـلـل
ولـو أنـهـا شـاءت بـأضـعـف سـعـيـهـا
لألـفـت الـذئـب الخلـيـع مـع الجمـل
ولـو جـمـل صـعـب أرادت قـيـاده
عـلـى روعـان مـنـه لاسـتـوثـق الجمـل
يـغـر الـبـرايـا زهـدهـا وخـشـوعـهـا
وتـسـبـيـحـهـا عـنـد الـشـروق إلـى الطَفَل[4]

وقال آخر في أخرى:

دسـسـت إلـيـهـا سـبـحـة عـنـدمـلـيـة
نـقـصـت بـهـا الأحـقـاب والـعـظـم بـارز
مـضـى عـظـمـهـا إلاّ الـتـرقـق فـي الـهـوى
تـكـيـد بـلـطـف تـارة وتـرامـز

---

(١) **الصعب الجموح**: فرس جمح، إذا ذهب يجري جرياً عالياً، ولم يثن رأسه.
(٢) **الختل**: تخادع عن غفلة.
(٣) **الخود**: الفتاة الحسنة الخلق، الشابة. **الكعاب** التي نهد ثدياها.
(٤) **الطفل**: الليل وقيل الشمس عند غروبها.

وقـوّادة قـدمـت فـي الـضـلال ومـا
قـلـت ذاك فـيـهـا لـذمّ
عـجـوز بـهـا أم قـد غـوت
ومـا سـمـعـوا مـثـلـهـا فـي الأمم
لـهـا حـكـم فـي قـيـادتـهـا
تـدل عـلـى أن فـيـهـا حـكـم
إذا وصـفـت لأبـي مـرّة
تـعـجّـب مـن وصـفـهـا وابـتـسـم
فـكـم رفـعـت عـلـمـاً لـلـفـسـوق
فـهـدت بـه مـن عـفـاف عـلـم
وكـم نـقـلـت قـدمـاً فـي الـضـلال
ومـا نـقـلـت فـي رشـاد قـدم
وكـم نـفـثـت مـن رقـا كـيـدهـا
فـتـمّ لـهـا فـيـه مـا لم يـتـم
وكـم ولجت جـحـر مـحـجـوبـة
وكـم قـنـصـت ظـبـيـة مـن حـرم
وكـم وضـعـت ذكـراً فـي رحـم
وكـم جـمـعـت فـي فـمـيـم وفـم
تـقـود إلـى الـشـاة ذئـب الـفـلاة
بـنـايـك بـيـنـهـمـا فـي الـظـلـم
ولـو طـلـعـت لـنـجـوم الـسـمـا
لـسـنّـت لـهـم سـنن الـنـيـك ثـم

وإن حصلت قودة للصلاة
تقل للصلاة اذهبي ذا أهم
وحيناً تصلي بغير الوضوء
لتدفع عنها ظنون التهم
ولو قلت أشتاق نيك الأسود
أيمكن ذاك لقالت نعم
تصام عند اختلاط الكلام
دهاء وليس بها من صمم
فكم خدع أتقنت علمها
وكم حيل أحكمتها وكم
لإبليس رسم على وجهها
تقول لقاريه فيها رسم
إذا لم تنل وصل محجوبة
فنبّه لها هذه ثم ثم

وقد تقود الرقيبة والحوافظ المستأمنات إذا أرضين بالرغائب، ونيكهن ألذ الأسباب إلى قيادة من يحفظنه وأنشد بعضهم:

نيك الرقيب على الحبيب يعين
وبه لعمري ما تحب تكون
إن الرقيب إذا قضيت ذمامه
أضحى يقود عليك وهو أمين

وإن كانت الرقيبة عجوزة شديدة الحراسة، وعلم منها عدم المساعدة بقيادة من تحفظها، فالوجه عندي أن يعرض الرجل عنها، وعن الذي معها بعض الإعراض، ويوهمها قلة الرغبة فيها لتهون حراستها وشدة محاذرتها، ثم يسلط عليها بعض المرد من خدمه أو

من غيرهم ممن يعلم أن همّته لا تسمو إلى المحروسة، فيروض العجوز لنفسه، ويظهر لها رغبة فيها، فهي تحب ذلك وترغب إليه بجميع جوارحها، ولا يغرّه نفورها منه، فإنما ذلك اختيار منها لما يدعيه، فإن كان في موضع يمكنه نيكها فيه، فهو أحب إليها لقيامها بحجة لها عليه بالقهر وأقرب لعذرها، فإذا نيكت تحلّلت عراها وسهل المراد فيها، وإن فعل الطالب بنفسه وإن تكلف لها ذلك كان آكد. وممّا قلت في ذلك:

إذا ما الكس بات رقيب كس
عليك فهنّ أيرك بالبشاره
وأومي للرّقيب له مشيراً
فإن الأير يعرف بالإشاره
أعرها الأير حيناً بعد حين
يمكنك المنا تلك الإعاره

وكثير من العجائز من تقود على ابنتها، أو من وليت أمرها من أهلها، إما لرغبة في اكتساب الخبيث، وإما من الفساد الطبيعي، وقد يفسدهنّ على الأزواج ويكرهنّ على الفساد من غير احتياج، لا سيما إن كانت الصبية ذات جمال، فتحبّ العجوز أن تباهي بها نظائرها من المتبرجات للفساد.

حكي عن الأصمعي أنه قال: دخلت البادية فبينا أنا أطوف بها لاحت لي خيمة منفردة، فقصدتها فإذا عجوز جالسة وبين يديها صبية كأنها القمر، فاستسقيت[١] فقالت لها العجوز: اسقي عمك. فخرجت إليّ بقدح فيه لبن، فشربت منه ونظرت إلى الصبيّة فاستخفني حسنها، فأومأت إليها لأقبلها فامتنعت ونفرت، فقالت

---

(١) استسقيت: طلبت السقيا.

لها العجوز: ما شأنك؟ فقالت: إنه أراد أن يقبلني. فقالت: أي بنية أما سمعت الذي يقول:

إذا قبّل الإنسان آخر يشتهي
ثناياه لم يأثم وكان له أجرا
فإن زاد زاد الله في حسناته
متى قبّل يمحو الله عنها بها وزرا

قال: فعادت الصبية فقبلتني عشراً كأنهم واحدة وانصرفت.

وإذا كانت المطلوبة مساعدة لطالبها لم يحتج فيها إلى معاناة ولا رياضة، واتصل إليها بأيسر رسالة وأدنى إشارة ولو خُرست.

ومن لطيف ما سمعت من ذكاء الرسول والمرسل إليه أن ذا الرمة عزم على زيارة مي، فاستصحبه صديق له من العرب، فلما دنيا من الحي قال له ذو الرمة: قد علمت شدة أهل مي على حراستها، ولا أرى وجهاً في الاتصال بها إلاّ أن نطرق الحي ونتلطف في أخذ مواعيد منها. قال فقلت: وكيف يمكنني ذلك؟ قال: لا بد أن تحتال، وإلا فاعلم أني هالك من الوجد والبرحاء[1]. قال: فبركت ناقتي وطرقت الحي كأني سائر لوجهي، حتى إذا صارت قرب خيام ميّ أنشدت أقول:

تقرّبت منها طامعاً في وصالها
وما نفع قرب الدار من غير مسعد
أحمل من ألقى إليها رسالتي
وأرجوه أن يأتي إليّ لموعد

فلما سمعتني قالت: اخسأ اخسأ. فقال لها أبوها: ما شأنك؟

---

(١) البرحاء: الشدة والمشقة، وخصّ بعضهم به شدة الحمّى.

قالت: هنا كلب يأتينا كل ليلة في مثل هذا الوقت. فاستبشر وسألني كيف كان الأمر في ذلك؟ فأخبرته القصة، واختفينا ليلتنا ويومنا، حتى إذا كان بعد العشاء من الليلة الثانية دخلنا الحي مستخفين وكمّنا في موضع كانا يلتقيان فيه، فما كان بأسرع من أن وافته، فبانا في ألذ محادثة ومعاتبة وتسال من ألم الفراق، وأنا ثالثهما، فما رأيته مدّ يده إليها لمرتبة حتى كاد الفجر يتبين، ثم ودّعها وارتحلنا. وقد وقفت على هذا الخبر على غير هذا الوجه، والشعر غير الشعر.

وحكي بإسناد يعزى إلى بعض أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال الراوي: وكان بدوياً صحيحاً، وكان قد حمل إلى المتوكل فحبسه ثم أطلقه. قال: وحدثني نمير بن مخيف الهلالي، وكان حسن الوجه صبيحاً، قال: كان منّا فتى يقال له بشر بن عبد الله، ويعرف بالأشتر، وكان يهوى جارية من قومه يقال لها جيداء، وكانت ذات زوج، فشاع خبره في حبها، فمنع منها وضيّق عليه حتى لم يقدر أن يلم به، فجاءني ذات يوم فقال: يا أخي قد بلغ مني الوجد وضاق مني سبيل الصبر، فهل لك أن تساعدني على زيارتها؟ فقال: نعم. وركبنا فسرنا يومين حتى نزلنا قريباً من حيّها، فكمن في موضع فقال لي: اذهب إلى القوم فكن ضيفاً لهم، ولا تذكر شيئاً من أمرنا حتى ترى راعية لجيداء وصفها كذا وكذا، فتخبرها بأمري وأمرها أن تأخذ لنا منها موعداً، فمضيت فلقيت الراعية، فخاطبتها فمضت إلى جيداء وعادت فقالت: قل له موعدنا الليلة عند تلك الشجرات في وقت كذا وكذا.

فعدت إليه فأعلمته وجلسنا عند تلك الشجرات في الوقت

الموعود، فإذا بجيداء قد أقبلت، فوثب الأشتر إليها وقبّل بين عينيها، فقمت مولّياً عنهما؛ فقالا: نقسم عليك ألاّ رجعت، فوالله ما بيننا ما نستره عنك، فرجعت وجلسا يتحادثان، فقال لها: يا جيداء أما فيك حيلة فنتعلل[1] ليلتنا هذه؟ قالت: لا والله إلاّ إن كنت ترضى أن تعود حالي إلى ما تعرف من البلاء والشدة. قال: والله ما أرضى أن يصيبك شيء، ولكن ما من ذلك بدٌّ ولو وقعت السماء على الأرض. قالت: فهل في صاحبك هذا خير؟ قال: نعم والله. قال: فقامت عنا بمعزل، فخلعت ثيابها فدفعتها إليّ وقالت: البسها وأعطني ثيابك. ففعلت ما أمرت به، ثم قالت: اذهب إلى بيتي ونم مكاني، فإن زوجي سيأتيك بعد العتمة ويطلب منك القدح ليحلب فيه الإبل، فلا تدفعه من يدك إليه، ولكن دعه بين يديك فهكذا فعلي معه، فإنه سيذهب ويحلب فيه، ويأتيك به ملآناً، فيقول: هاكِ غبوقك[2]، فلا تأخذ منه حتى يطيل كدّه عليك، ثم خذه أو فدعه حتى يضعه هو، ثم لست تراه حتى يصبح، فإذا وضعه وذهب عنك، فاشرب منه مقدار ثلثه ودعه مكانه.

فذهبت ففعلت ما أمرتني به، ثم جاء القدح ملآناً فلم آخذه منه، وأطلت كدّه عليه، ثم إني أهويت لآخذه منه، وأهوى هو ليأخذه، فاختلفت أيادينا فانكفأ القدح. فقال: إن هذا الطماح[3] مفرط، فضرب بيده إلى سوط فتناوله، ثم تناول جسمي فضرب ظهري بذلك السوط ثلاثة وأربعين سوطاً، فجاءت أمه وأخته إلينا فنزعاني من يده بعد أن زال عقلي، وهممت أن أوجئه بالسكين،

(١) **نتعلل**: يقال: تعلل بالأمر واعتل: تشاغل. وتعلّل به أي تلهى به وتجزأ.
(٢) **الغبوق**: ما شرب بالعشي، وخصّ به بعضهم اللبن المشروب في ذلك الوقت.
(٣) **الطماح**: مثل الجماح، وطمحت المرأة مثل جمحت أي نشزت على زوجها.

الموعود، فإذا بجيداء قد أقبلت، فوثب الأشتر إليها وقبّل بين عينيها، فقمت موليّاً عنهما؛ فقالا: نقسم عليك ألاّ رجعت، فوالله ما بيننا ما نستره عنك، فرجعت وجلسا يتحادثان، فقال لها: يا جيداء أما فيك حيلة فنتعلل[1] ليلتنا هذه؟ قالت: لا والله إلاّ إن كنت ترضى أن تعود حالي إلى ما تعرف من البلاء والشدة. قال: والله ما أرضى أن يصيبك شيء، ولكن ما من ذلك بدٌّ ولو وقعت السماء على الأرض. قالت: فهل في صاحبك هذا خير؟ قال: نعم والله. قال: فقامت عنا بمعزل، فخلعت ثيابها فدفعتها إليّ وقالت: البسها وأعطني ثيابك. ففعلت ما أمرت به، ثم قالت: اذهب إلى بيتي ونم مكاني، فإن زوجي سيأتيك بعد العتمة ويطلب منك القدح ليحلب فيه الإبل، فلا تدفعه من يدك إليه، ولكن دعه بين يديك فهكذا فعلي معه، فإنه سيذهب ويحلب فيه، ويأتيك به ملآناً، فيقول: هاكِ غبوقك[2]، فلا تأخذ منه حتى يطيل كدّه عليك، ثم خذه أو فدعه حتى يضعه هو، ثم لست تراه حتى يصبح، فإذا وضعه وذهب عنك، فاشرب منه مقدار ثلثه ودعه مكانه.

فذهبت ففعلت ما أمرتني به، ثم جاء القدح ملآناً فلم آخذه منه، وأطلت كدّه عليه، ثم إني أهويت لآخذه منه، وأهوى هو ليأخذه، فاختلفت أيادينا فانكفأ القدح. فقال: إن هذا الطماح[3] مفرط، فضرب بيده إلى سوط فتناوله، ثم تناول جسمي فضرب ظهري بذلك السوط ثلاثة وأربعين سوطاً، فجاءت أمه وأخته إلينا فنزعاني من يده بعد أن زال عقلي، وهممت أن أوجئه بالسكين،

(١) **تتعلل**: يقال: تعلل بالأمر واعتل: تشاغل. وتعلّل به أي تلهى به وتجزأ.
(٢) **الغبوق**: ما شرب بالعشي، وخصّ به بعضهم اللبن المشروب في ذلك الوقت.
(٣) **الطماح**: مثل الجماح، وطمحت المرأة مثل جمحت أي نشزت على زوجها.

فلما خرجوا عني لم ألبث إلاّ يسيراً حتى جاءتني أم جيداء، فدخلت عليّ وكلمتني وأنّبتني حتى كدت أن أضجر منها، ولزمت الصمت والتباكي. قالت: يا بنية اتقي الله تعالى وأطيعي زوجك، فأما الأشتر فلا سبيل لك إليه، وإنما آتيك الليلة بأختك تؤنسك، ثم مضت ثم بعثت إليّ جارية، فجعلت تكلمني وتدعو على من ضربني، وتبكي وأنا ساكت، ثم اضطجعت إلى جانبي، فسددت على فمها بيدي وقلت: يا جارية إن أختك مع الأشتر، وقد قطع ظهري بسببها، وأنتِ أولى بسترها مني، فإن تكلمتِ فضحتِ أختك وأنا لست أبالي. فاهتزت مثل القضيب فزعاً، ثم ضحكت وسكتت وبات معي منها أظرف الناس، فلم نزل نتحدث حتى برق الفجر، ثم خرجت فجئت إلى أصحابي.

قالت جيداء: ما الخبر؟ فقلت: سلي أختك عن الخبر، فلعمري إنها عارفة به، ثم دفعت إليها ثيابها وأريتها ظهري، فجزعت وبكت ومضت مسرعة، وجعل الأشتر يبكي وأنا أحدثه بقصتي ثم ارتحلنا.

ومن النساء من تحتال على إدخال الرجل عليها إذا كان لاح لها غرض فيه وتسلط عليه بعض عجائزها، وأكثر حيلهنّ على الرجل أن تسأل منه أن يقرأ لها ورقة، تظهر أن كتاباً جاءها من عند زوجها أو ابنها، لم تجد من يقرأه لها، ورغبة في الأجر والثواب على ذلك، فإذا دخل أغلقت بعده الباب، وأظهرت له تلك محاسنها وزينتها، فتفتنه أو يعصمه الله تعالى من ذلك.

ومن الرجال من يحتال في الجمع بين المتعاشقين، ويعدّ ذلك من الكرامات. ومنهم من يحتال في تأليف الزوجين وعطف أحدهما على الآخر، ولا يسمى قيادة، كما يحكى عن عائشة بنت

طلحة بن عبد الله، وكانت تحب مصعب بن الزبير رضي الله عنهم، وكانت شرسة الأخلاق كثيرة الشر والغضب، مشهورة بذلك، وكان مصعب رضي الله عنه شديد المحبة لها لما كان فيها من الحسن والجمال، ولم يكن في زمانها من يشاكلها في الحسن، فطال غضبها يوماً على مصعب، فشكا ذلك إلى أشعب، فقال له: ما لي عندك إن رضيت عنك؟ فقال: حكمك. قال: عشرة آلاف درهم. قال: هي لك.

فانطلق حتى آتى عائشة قال: جعلت فداك، قد علمت حبي لك وميلي قديماً إليك من غير مسألة شيء منك ولا فائدة، ولي حاجة قد عرضت تقضين بها حقي وترهنين بها شكري. فقالت: وما عندك؟ قال: جعل لي الأمير عشرة آلاف درهم إن أنت رضيت عنه. قالت: ويحك لا يمكنني ذلك. قال: بلى بأبي أنت وأمي ارضي عنه حتى يعطيني ما بذل لي، ثم عودي إلى ما عوّدك الله تعالى من سوء الخلق، فضحكت ورضيت عن مصعب. وقيل: إن هذه القصة كانت لها مع عمرو بن عبيد بن معمر، وكان الرسول إليها والمخاطب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عتيق، وكان ابن أبي عتيق كثير السعي في إصلاح ما بين الزوجين والجمع بينهما، معروفاً بذلك، مشهوراً ببذل نفسه وماله.

الباب الثاني عشر:

فيما يجب الحزم فيه من قبل النساء

قال سلمان رضي الله عنه: النساء عيّ وعورة، فداووا العي بالسكوت، والعورة بالبيوت. وقال عمر رضي الله عنه: جنبوهن الكتابة والخطّ، ولا تسكنونهن الغرف. وقيل: علموهن سورة النور، وجنبوهن سورة يوسف، وذلك لما في خبر سورة يوسف وزليخا، ولما في سورة النور من الزجر والوعيد وذكر الحدود للعامة مثل: يقولون ما كسبناه في سورة يوسف أنفقناه في سورة النور كقوله: من ربح بحال خسر ربحه بحالة أخرى. وأصل ذلك ما يروى أن بعض القصاص كان يقف للنساء على القبور ويتلو سورة يوسف، ويقصّ عليهن قصته مع زليخا، فصرن يجتمعن إليه، فكسب منهن مالاً واشتهر أمره باجتماع النساء إليه، فأحضروه إلى والي البلد، وضربه وألزمه ألا يقرأ إلا سورة النور، فلما سمعنها تفرقن عنه، وانقطع ما كان يألفه منهن، فسئل عن حاله فقال: ما كسبنا في سورة يوسف أنفقناه في سورة النور. فجرى مثلاً بين العامة.

وقيل: الزموا النساء المهنة، ونعم لهو المرأة الغزل. وقيل لامرأة الحجّاج: أتغزلين وأنت امرأة الأمير؟ فقالت: سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول: «**أطولكن طاقة أعظمكن أجراً**»[(١)] والغزل يطرد الشيطان ويذهب بحديث النفس.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لفاطمة عليها السلام: ما خير النساء؟ قالت: التي لا ترى الرجال ولا يرونها. فذكر ذلك للنبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: «**إنها بضعة مني**»[(٢)] يعني تنطق بالحكمة. وقال: لأن يرى حرمتي ألف رجل مكشوفات أهون عندي من أن ترى حرمتي رجلاً واحداً غير منكشف. يريد أنهن أسبق إلى الشر من الرجال.

وذاقت ليلى الأخيلية الخمر، فقالت: أيشرب هذا نساؤكم؟ قالوا: نعم. قالت: إذاً لا يدري أحدكم مَن أبوه.

وكان الحطيئة شديد الغيرة، فسافر سفراً بعيداً، فقيل له: من خلّفت مع بناتك؟ قال: الجوع فلا يمرحن، والعريّ فلا يبرحن.

وقيل لعقيل بن علقمة وقد أراد سفراً: أين غيرتك على من تخلف من أهلك؟ قال: أخلف معهن الحافظين: الجوع والعري. وأما أنا فلا أرى هذا من الحزم، فإن المرأة إذا اضطرت بها الفاقة والاحتياج من قبل زوجها أو وليّها، وقد علمت قدرته على كفايتها، التمست دفع البلاء عنها بما يمكنها، وهان عليها إضاعة عرضه ونقض عهده، وقلّ الوفاء من طبعهنّ، فإن كان النظر يغريهن باتباع الهوى، فالجوع يجلبهن إلى اطّراح الهوى، ولكن خير الأمور أوسطها، وأن لا يمكن أمورهن.

---

(١) انظر **الفردوس بمأثور الخطاب**، ج ١، ص ٤٢٤، ح ١٧٢٥.

(٢) رواه **مسلم في صحيحه**، ج ٤، ص ١٩٠٣، حديث ٢٤٤٩ **والبخاري في صحيحه**، ج ٣، ص ١٣٦١، ١٣٦٤، ١٣٧٤، حديث ٣٥١٠، ٣٥٢٢، ٣٥٦٦.

ومن الحزم أن لا يغتر الرجل بما تظهر له المرأة من عدم الغيرة والرضا بأن يتزوج عليها غيرها، أو يشتري جوارياً فقد هلك من هلك من هذا الوجه.

ومن الحزم كتم الأسرار عنهن، فما اطلعن على سرٍّ إلا ذاع وضاع، ولا شوركن في أمر إلا فسد أوله وآخره. وحكي عن عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه أن امرأة أشارت عليه برأي في بعض أموره، فزبرها وقال: إن المرأة ريحانة وليست قهرمانة.

ومن الحزم أن لا يغتر الرجل بما يراه من المرأة من شدة المحبة والتهتك في عشقه في حال الرضا، فإنها في حال الغضب تنكره وتواجهه بما يكرهه.

ومن الحزم أن لا يثق الرجل بالمرأة في كل أحوالها، ولا يحمل قولها على الصدق، فإن لهن سرعة اختلاس واقتدار على الخروج مما يريب الرجل منهن، كما حكي أن رجلاً كان يجمع أخبار النسوان وما يصدر منهن من الكيد والمكر بالرّجال، ويقول: لقد عرفت أحوال النساء حتى لا يجوز لهنّ عليّ حيلة أبداً، فسمعت بقوله امرأة، فهيأت له مجلس شرب، وجمعت فيه كل ما يجمع في غيره من الشراب والأبقال والفواكه وغيرها، ثم بعثت إليه أن يصلها، وكانتِ مشهورة بالحسن والجمال، مرغوباً فيها، فلما دخل عليها وقد تزينت له رأى منها ما أفتنه وأدهشه من الجمال البديع، وكانت قد تعمدت لحضوره وقت مجيء زوجها، وكان زوجها صاحب جبروت وقتل وسفك دماء بمن وجده في داره من غير خوف.

فما استقر بهم المجلس حتى قرع عليهم الباب، فأظهرت له الجزع والخوف، وقالت: هذا زوجي جاء؛ وأدخلته في خزانة ذلك

البيت بعد أن ملأت قلبه بتخويفه، وأقفلت عليه بقفل، وتركت المفتاح عند مجلسها وفتحت، فدخل زوجها فرأى الشراب والآلة التي أعدّتها له، فقال: ما هذا؟ فقالت: هو ما ترى. قال: فما أردتِ به؟ قالت: لمعشوق لي كان عندي. قال: وأين هو؟ قالت: في تلك البقعة وأشارت إلى موضعه، فاغتاظ من كلامها وقام فرأى الباب مقفولاً، فقال: وأين المفتاح؟ فقالت: هو هذا، ورمت به إليه، فلما جعل يعالج القفل ليفتحه ضحكت وقهقهت بأعلى صوتها، فالتفت إليها وقال: ممّ تضحكين؟ قالت: أضحك من ضعف عقلك وسوء تدبيرك ورأيك يا قليل العقل، أترى لو كان لي عشيق وأدخلته البيت كنت أعلمتك به وأدلك على مكانه؟ وإنما هيأت هذا لك، ولم تطب نفسي أن أتناول منه شيئاً قبل أن تصل، وأردت أن أتماجن معك بهذا الكلام لأختبرك، فترك القفل على حاله وقام ورجع إلى مجلس شربه وقال: والله لقد قمت وأنا لا أشك في صدق قولك.

ثم استمرا على شربهما وبقي ذلك الرجل مكانه حتى خرج الزوج، ففتحت عنه الباب بعد إشرافه على الهلاك وأخرجته. وقالت له: هل أتيت فيما جمعت على مثل هذه؟ فقال: قد علمت أن كيدكن عظيم، وخرج عنها.

ودخل رجل منزله فرأى رجلاً بين حرمه، فخرج يعدو فتبعه صاحب البيت، فأدركه وقد تعلّق بحائط لبيته، فأمسك برجله، فلما رأينه النساء قد تمكن منه صرخن بأصوات منكرة، وأظهرن الفزع الشديد، واستغثن به أن يرجع إليهنّ، فظن أن في البيت رجلاً آخر، فترك ذلك الرجل ورجع يسألهن عن الخبر، فقلن له:

هذا أثره احفظه قبل أن يغيره الريح. فقال: هذا من كيدكن العظيم.

ومما يؤكد هذه الأخبار، أن رجلاً في زماننا دخل منزلاً ليلاً، فرأى شخص رجل بين حرمه، فتوارى عنه في بيت من ذلك المنزل، فأغلق عليه صاحب البيت الباب بحلقته، من خارج، ووقف يحرس الباب، وأمر صبية صغيرة أن تخرج المصباح من بعض الجيران مبادرة، ثم أقبلت بالسّراج وهي تعدو حتى بلغت باب الدار وهي تعدو قبل أن يدخله، فوقعت على الأرض متعمدة، ورمت بالسّراج وصرخت واستغاثت، فلم ير له بدّاً من كشف ما دهاها، فخرج مبادراً، فلما خرج فتحن الباب عن الرجل وأعدن الحلقة على حالها، وأخرجنه من عرض الدار، وتلك الصبية تستغيث أن عقرباً لسعها، ثم فتح الباب فلم يجد أحداً، فكذب نفسه وأحسن ظنّه.

ويحكى أن امرأة كان لها زوجاً غائباً، وكان جريئاً سفاكاً، فقدم من غيبته فجامع زوجته عشيقاً لها قد أدخلته الدار، فلم تتمكن من مواراته عنه، فأدخلته تحت السرير وأيقنت بالهلاك، ولم تجد لها حيلة إلا أن تهرب على وجهها، فقصدت الباب فرأتها بعض عجائزها، فقالت لها: ما دهاك؟ فأخبرتها الخبر، فقالت لها: ارجعي على سلامتك وخروج الرجل سالماً. فرجعت وأحضرت العجوز شراباً، وأجلست المرأة وزوجها، وجلست العجوز ثالثتهما قريباً من السرير، ثم قالت: كانت امرأة من النساء قد عشقت رجلاً، وكان لها زوج غائب، فقدم عليها بغتة والعشيق عندها، فلم تجد موضعاً تخفيه فيه، فأدخلته تحت السرير، ثم جلست مع زوجها على الشراب تنادمه وتلاعبه، وتأخذ منه منديله تضعه على

عينيه، فخرج عشيقها من تحت السرير ولم يره. ثم أخذت العجوز المنديل، وعصّبت على عين الزوج، وجعلت تقول: جعلت فداك؛ ففطن العشيق وخرج فلم يره، وجعل الزوج يضحك من ذلك ويكثر التعجب منها. وقال المعرّي:

إذا بلغ الوليد لديك عشراً
فلا تُدخل على الحرم الوليدا

فإن خالفتني وأضعت نصحي
فأنت وإن حويت غنا بليدا

ألا إنّ النساء حبال غيٍّ
بهن نضع المشرف التليدا

وقال بشّار:

لا يؤنسنك من مخدرة
قول تغلظه وإن جرحا

عين النساء إلى مخدرة
والصبر يمكن منه ما جمحا

الباب الثالث عشر

في نوادر وأشعار شذت على الأبواب المتقدمة

ناك معلم صبيته في مكتبه وقد خلا من الصبيان، فلمّا أولجه معه واشتد شبقه، مرّ بهم شيء من الطرب معه، فنزع الصبي أير المعلم من استه وخرج لينظر ذلك الطرب، فنظر المعلم إلى أيره وقال: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً﴾[1].

ورأى رجل أعمى ينيك أعمى فقيل له: ما هذا؟ فقال: ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾[2].

وشهد أبو عثمان المازني عند أمير البصرة على رجل لاط بغلام في خربة، فقال له الأمير: ما تقول يا أبا عثمان؟ قال: رأيت هذا الغلام مع هذا الرجل، فقلت: يماشيه، ثم دخل به الخربة، فقلت: يواريه، ثم وهب له درهماً فقلت: يواسيه، ثم حلّ سراويله فقلت: يفلّيه، ثم بصق عليه، فقلت: يرقيه، ثم أخرج شيئاً عظيماً كالهراوة

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٢) سورة النور، الآية (٤٠).

فأولجه فيه، فقلت: إنّا لله مما نحن فيه. قال له الأمير: ما أبردك، قل هذا ناك هذا، واسترح من القال والقيل والتعريض الطويل.

واشترى أبو خليفة القاضي بالبصرة جارية ماجنة، فأعجب منها فجامعها واحتاج إلى الريق، قال: يا جارية، هل معك من بزاق أو بساق أو بصاق؟ ـ العرب تبدل السين زاياً أو صاداً، كأبي السقر، وأبي الزفر، وأبي الصقر ـ وقرأ حمزة: اهدنا الزراط بإشمام الصّاد والزاي ـ فقالت الجارية: الحمد لله الذي لم أمت حتى رأيت حرّي مثل باب ابن الأعرابي يقرأ عليه كتاب العين.

وأحضر أعرابي ليشهد على رجل أنه زنا بامرأة، فقيل له: رأيت فرجه في فرجها كالميل في المكحلة. فقال: والله لو كنت جلدة استها ما رأيت ذلك.

وأحضر آخر ليشهد على رجل أنه زنا بامرأة، فقيل له: ما رأيت؟ فقال: رأيت استاً تنبو، ونفساً يعلو، ورجلين كآذان الحمر، ورأيت أمراً منكراً.

وأحضرت امرأة زوجها إلى قاضٍ، فقالت: أصلح الله القاضي، إن زوجي هذا مضيعاً لحقوقي الواجبة جميعاً وإلاّ فأير القاضي في حرّي. فقال لها القاضي: كيف تقولين؟ أعيدي دعواك. فقالت: زوجي هذا مضيعاً لحقوقي الواجبة عليه، وإلاّ أير القاضي في حري. قال: ثَلِّثي دعواك. فأعادت عليه كلامها ثالثة والزوج ساكت لا يتكلم. فقال له القاضي: ما تقول أيها الرجل؟ قال: هي مستوفية حقوقها، وإلاّ أيري في حر امرأة القاضي. قال القاضي: عزّروا هذا الفاسق. فقال له الرجل: سبحان الله العظيم، إنَّ من الأيور شقياً وسعيداً، أير القاضي في حرّ امرأتنا ثلاث لم يجرِ للتعزير ذكر، ثم تأمر لي بالتعزير في مرة واحدة.

ودخل رجل يبيع قصباً على كردي، وكان القصاب شيخاً أعور والكردي أعور، فقام إليه الكردي لينيكه فامتنع، وقال: أنا رجل كبير فما المراد من نيكي؟ فقال: لا بد، وقهره، فلما علم أن لا خلاص له من يده استسلم، فلما فرغ منه قام القصاب، فقبّل يد الكردي وهو يدعو له، فقال له: ما سبب هذا؟ قال: إن لعيني أربعين سنة عوراء، فما رأيت بها إلاّ ساعة. فطمع الكرْدي في إصلاح عينه بالنيك، فأمر القصّاب فقام فناكه إلى أن فرغ، والكردي يفتقد عينه فلم ير بها شيئاً. فقال له: أراك نظرت بعينك ولم أر بعيني! قال له: لأن أيرك أسعد من أيري كما أنت أسعد مني. وخرج وقد احتال على التقاضي.

وكان رجل له زوجة في غاية الجمال، وكان محباً لها، وكانت لا ترد يد لامس، وربما تعرضت للرجال بنفسها من قبل أن يتعرض لها أحد، فضاق من ذلك ذرعاً وصار ينقلها من بلد إلى بلد، فلم ينفعه ذلك فيها، فلما عجز عن حراستها، نقلها إلى بلدة بعيدة ثم جلس في نادي أهله يتحدث معهم، ثم قال: إن لي زوجة فيها عجيبة، وذلك أن لها فرج امرأة ومن تحته ذكر رجل، فإذا جامعها الرجل دخل ذلك الأير في استه فتعجبوا منها، ثم دخل إليها الرجل فقال لها: إن في أهل هذه القرية عجيب، للرجل منهم ذكر ومن تحته فرج امرأة، فعجبت وزاد حرصها وهو على أن ترى ذلك منهم، فتعرضت لرجل منهم وكان قد سمع صفتها من زوجها، فلما جامعها وهو في غاية الحذر مما يقع في استه منها، فأدخلت أصبعها من تحت خصيتيه لتختبر الفرج الذي تحت ذكره، فلم تخطىء استه، فنزع أيره منها وخرج هارباً منها يخبر الناس بما وجد منها، فتحاماها أهل ذلك البلد، وأمّن زوجها عليها.

وأراد جرير أن يلاعب الفرزدق، فقال: إنما أحب إليك أن تتقدّم الخير أو يتقدمك؟ قال الفرزدق: أما أنا فلا أحب أن يتقدمني ولا أتقدمه، بل أكون أنا وهو في قرن واحد، ولكن إنما أحبّ أن ترى يد امرأتك على أير رجل، أو يد رجل على حر امرأتك؟ قال له: قبحك الله ما أولع لسانك بالقدح.

ومات أعرابي، فبكته زوجته، وكان لها منه ثلاثة أولاد كبار، فقالوا لها: ما يبكيك يا أمنا؟ فقالت: على فقد أبوكم. فقالوا: هل من أبينا غيره؟ هل تفقدين خيره وميره؟ والله ما تبكين إلا أيره.

وماتت زوجة أعرابي، فوقف عند رجليها يبكي، فقيل له: لو جلست عند رأسها. فقال: إنما أبكي حيث كان نفعي.

ولما مات أبو جحا، جلست أم جحا يوماً في السحر تبكي زوجها، فقال لها جحا: ما يبكيك يا أماه؟ قالت: وكيف لا أبكي وقد ذكرت أباك فقطع قلبي ذكره. فقال: أي والله هذا وقته الذي كان يبكيك فيه.

وكان جحا كثير الولع بأمه في الليل، فشكت ذلك إلى أبيه، فاستعمل أوتاداً محدودة وطرحها في زوايا البيت ليخوفه بها، فلما جاء جحا ورأى الأوتاد قال: يا أمّاه، ما تصنعون بهذه الأوتاد؟ قالت: يدخلها أبوك في است من يتكلم بالليل. فنام جحا وانتبه بالليل وأبوه يستعمل أمه. قال: يا أبه أمي تكلمت بالليل؟ قال: لا. قال: فأيش تعمل؟ قال: أدخل الوتد في استها.

واختصم اثنان، فقال أحدهما: تكلمني وأنا نكت أمك. فمضى مسرعاً إلى أمه وقال: أتعرفين فلاناً؟ قالت: أبو عكنة. قال: وبه ناكك، والله أنا أذكر لكِ اسمه وأنت تجيبين بكنيته.

وداعب رجل مخنثاً، فقال له: ألك طعنة في استك وأيراً في ظهرك؟ فوثب المخنث وقبّل يده وقال: أسألك بالله أن تضع كل شيء موضعه.

وقيل لمخنث، متى عهدك بالحر؟ قال: منذ خرجت منه.

وقيل لآخر: لم لا تتزوج؟ قال: ما بقي في الرجال خير.

وكتب مخنث على خاتمه: من ناكني احتساباً ضمنت له الجنة.

وكتبت جارية على منديلها: إذا عبر الحر الأير ولم يهش إليه وجبت عليه اللعنة.

وحكي أن جماعة من الشعراء اجتمعوا عند يزيد بن معاوية وفيهم أبو نواس، فقال لهم: إني مخرج إليكم جارية تنشدكم شعراً، فمن أجاب على الوزن والقافية والرويّ ثلاثة أبيات فهي له. ثم أخرج لهم الجارية فأنشدت تقول:

لمن الـــــدار ارتـــــفـــــقـــــت بــــــرك
....[1] حـــــط أيــــــري فــــــي حــــــرك

فنكس القوم رؤوسهم، فقال أبو نواس:

فـــــتـــــبـــــارت وثـــــارت لــــــهـــــا
قــــالــــت قــــم فــــبــــورك ثــــم نــــك
رب أيــــر قـــــد غـــــمـــــس رأســـــه
فـي بـعـيـد الـقـعـر مـخـمـوص الـورك

فقال له: خذها لا بارك الله لك فيها.

---

(١) بياض في المخطوط بمقدار كلمة.

وقال رجل لجارية: أيما أحب إليك، التمر أم ذلك الأمر؟ قالت: أنت تعلم أني ما آكل التمر قط.

وقالت جارية مغنية: ما في الدنيا أحب إليّ من أن ينيكني آدر[1]. فقيل لها: ما تحبين من ذلك؟ قالت: لأنه إذا ناكني صفقت خصيتاه باب استي كزقّ الحداد، إذا انفتح وصك به الكير ازدادت حرارته.

وقال رجل لطبيب: إني أجد في حلقي ضيقاً وحرارة وخشونة. فقال الطبيب: ليت ذلك في حرّ جاريتي وعليّ غرم.

ويحكى أن الفريعة أم حسان كانت جميلة مليحة الخلق، فتزوجها جماعة كل منهم يلقاها بمثل ذراع البكر، ثم يطلقها عن قلى[2] وكراهة، فقيل لها: يا فريعة إنكِ في غاية الحسن، فما بال أزواجك يطلّقونك عن كراهة؟ قالت: يريدون الضيق ضيّق الله عليهم.

ووجد أعرابي رجل ينيك جارية على قارعة الطريق، فشدّ عليه فهرب الرجل، وبقيت المرأة فعلاها الأعرابي، فلما فرغ أنشد:

لم أر كالليلة في التوفيق
حراً على قارعة الطريق
مستهدفاً يطعن كالفتيق
كأن فيه لهب الحريق

---

(١) الآدر: هو من ينفتق صفاقه، فيقع قصبه في صفنه، ولا ينفتق إلا من جانبه الأيسر. أو هو من يصيبه فتق في إحدى خصيتيه.

(٢) القلى: البغض.

قــد زانــه داخــلــه بــالــضــيــق

أجــريــت فــيــه ذا الأجــرد الموموق

وقال الأصمعي: رأيت في البادية أعرابية كبيرة السنّ، وعلى كتفها غلام صغير، وبين يديها غلام، وخلفها شيخ من الأعراب متعلق بها وقد رفع يديه إلى السماء وهو يقول:

أنــت وهــبــت رايــداً أو مــريــداً

وشــيــخــة أولــج فــيــهــا الأجــردا

تــطــل فــي كــعــبــتــهــا مــوتــداً

مــســيــلاً لــعــابــه ومــزبــدا

أنــيــكــهــا بــالأيــر حــتــى تــخــمــدا

لا أنــثــنــي عــن ذا الحقّ أبــدا

وهي تقول: أي وقت شئت يرحمك الله.

وخطب رجل امرأة إلى نفسه، فصار يحدثها وأيره يقوم، فضرب رأس أيره وقال: إليك هذا الحديث يساق.

قال بعضهم يصف أيره:

وصــاحــب مــعــجــب فــي طــول لــيــلــتــه

لا يــنــفــع الــدهــر إلا وهــو مــحــمــوم

تــغــشــاه فــي صــالــب الحمى مــكــارمــه

وإن أفــاق بــدا فــي وجــهــه الــلــوم

وقال آخر:

إلــى الــلــه أشــكــو صــاحــبــاً لــي مــرانــه

وإن بــلــغ المكــروه لــي غــيــر ممــكــن

تـراه عـلـى عـلاّتـه الـدهـر قـائـمـاً
كـسـلـخ شـجـاع ركّـبـوه بـإرزن
أمـا فـي بـلاد الـلـه نـفـحـة كـافـر
يـسـكـن هـذا الـغـيـظ عـن أيـر مـؤمـن

وأنشد أعرابي:

أشـكـو إلـى الـلـه قـيـام زبـي
يـضـرب بـين عـاتـقـي وقـلـبـي
يـا رب فـارزقـنـي جـراب أزبِ

وقال أبو نواس:

ويـحـك يـا أيـري فـمـا تـسـتـحـي
تـفـضـحـنـي مـا بـين جـلاسـي
تـخـرج مـن طـوقـي بـلا حـشـمـة
وتحـرق الـعـمّـة فـي راسـي

ومما قلت في المعنى:

ولـي أيـر إذا مـا قـام قـالـوا
لـقـد أمـعـنـت فـي كـثـر المجـانـه
كـأنـي تحـتـه أقـرأ سـطـوراً
كـتـبن قـديمـاً فـي أسـطـوانـه
فـمـن خـوفـي عـلـيـه الـعـين أنـي
أعـوذه بـحـرز أبـي دجـانـه

ومنه أيضاً:

يـتـم لـلأيـر حـكـم ولا يـتـم لـغـيـره
إن قام كلف شراً يكون أضعاف خيره

فليشكر الله عبد ألقى بحكم أيره

ومنه أيضاً:

أطعت أيري فما أبقى على جسدي
وكان يخرج بي وجداً إلى العدم
والله ما أسرف المنحوس من وسطي
إلا ليحدث من رأسي إلى قدمي

ومنه أيضاً:

بدا حادث الحيض في كسها
فغطته من دون أيري الثياب
فأولجته الكل في استها
وأمست سلاستها تستطاب
فأنشد أيري في جحرها
سيفتح باب إذا سدّ باب
فقالت وقد شق رهزي بها
نعم وتهون الأمور الصعاب

ومنه أيضاً:

عسى زورة من كسك الضخم ساعة
لنأخذ من لذّاته بنصيب
إذا عاشق اشتاق وجه حبيبه
فإني مشتاق لكس حبيب
فلا تخدعي بالكذب من قول شاعر
فما كذب من شاعر بعجيب

تعرض بالإغضاء للكس عامداً
وقد عدم التعريض كل لبيب
تقول رمتني عينها بسهامها
وأحرق قلبي خدّها بلهيب
فوالله ما للعين سهم رمت به
ولا خصرها في ردفها بقضيب
وأضعف خصراها وضوعف ردفها
فصارت كغصن البان فوق قضيب
ولا دبَّ في أصداغها قط عقرب
ولكن تلا في إثره بدبيب
وما العشق إلا شهوة النيك فاعلمي
وما قلته والله قول مريب
فإن يكذبوا لم أرض بالكذب مثلهم
ولا يشكر الرحمن قول كذوب

وأيضاً في المعنى:

ما أحوج العاشق للطبّ
يكني عن الغلمة بالحب
يجري على لحيته دمعه
شوقاً إلى الكس أو الثقب

ومنه أيضاً ـ والبيتان الأولان لغيري ـ:

قالت وقد لعب المدام بعطفها
في جنح ليل سامر الأفلاك

يا ليل هل لي في دجاك مسامراً
أم هل لهذا الكس من نيّاك
ضربت عليه بكفّها وتنهدت
كتنهد الأسف الحزين الباكِ
قالت تخاطبه مناي كلّه
إن لا خلا فكاك من فكّاكِ
الشفر بالمسواك يظهر حسنه
والأير للأكساس كالمسواكِ
يا مسلمين أما تقوم أيوركم
ما منكم أحداً يغيث الشاكي
فأنعظ من تحت الغلالة قائماً
أيري وقال لها أتاكِ أتاكِ
وحللت عقد إزارها متحلياً
من أنت قلت فتى أجاب دعاكِ
أمسيت أرهزها بمثل ذراعها
رهزاً يكاد يضرب الأوراكِ
حتّى إذا ما قمت بعد ثلاثة
قالت هناك قلت ثم هناكِ

ومنه أيضاً في المعنى:

أول ما يخطر في فكري
عند انتباه الناس للذّكر
ولـيدة مختصر قدّها
بنت دوين العشر أو عشر

قد بلغت قامتها خمسة
بالشبر لا يعجز عن شبر
وراضها الأير على صغرها
بالنيك في الكس وفي الجحر
تدخل منه أصبعاً أصبعاً
حتى تواريه إلى الشعر
فإن علته خلتها همزة
على ألف من وسط السطر
أو سفلت شبهتها بكرة
تجري بجلمود من الصَخر
يعجبني من غنجها قولها
أيرك ما يفعل في شفري
إن قلت لم أدر تقل لي فقل
كفعل زيدٍ في قفا عمروٍ
متى أراد نيكاً لها ألقها
من آفة الحيض على ظهر
أو أمرد مثل قضيب النقا
بقدرها في القدّ والعمر
قد طبع الشيطان أخلاقه
لشدة الرهز على الصبر
يرضيك ما يبذل من نفسه
عند التقاء الظهر بالصدر

يعطيك عند الصحو من نفسه
كمثل ما يعطيك في السّكر
لم يزعج النايك عن رهزه
ولم يقل للنايك آلمني ظهري
إن أنا أومأت تقبيله
دار إلى ثغري بالثغر
أو قلت هل أدخله كله
أشار بالكتفين لي ما أدري
أستغفر الله على أنني
عفّ ولكن فاسق الشعر

وقلت أيضاً:

أطالوا ملامي في الغواية والجهل
وليس ببالي راكب الجهل بالعذل
يقولون كأن الجهل يحمله الصبا
فقلت ضعوا شيبي على كاهل الجهل
وما كان منّي غير شرب مدامة
أذود بها الهمّ المبرح عن عقل
سلاف[1] متى يومي إلي بشربها
فتى يقل لمسراتي ادخلي قبلي
يبيت يعاطيني المدامة أمرد
ترى السحر في أجفانه موضع الكحل

---

(١) سلافة الخمر: أول ما يعصر منها، وقيل: ما سال من غير عصر، وقيل: أخلصها وأفضلها.

له لين ألفاظ وتفتير مقلة
لواحظها تدعو إلى ذلك الفعل
إذا سمته حلّ الإزار لنيكه
أقر كإقرار الحليلة للبعل
له كفل رابٍ إذا ما نطحته
علا فوقه حتّى أرى فوقه مثلي
تراني على أردافه مثل راكب
على بازل خلف السنام على رحلي
فأستغفر الرحمن مما أقوله
فما هو إلاّ للتماجن والهزل
ولكن جدّي بالمدائح والثنا
على ملك عمّ الفضائل والفضل
هزبر المعالي والمفاخر والعلى
خصيم العطايا والمكارم والبذل
تفرع من شمس الضحى وشهيده
فبورك في الفرع الكريم وفي الأصل
إذا رمت نظم المدح فيه تزاحمت
مفاخره عندي فاكتب ما أملي
كسا وجهه وجه الخلافة رونقاً
وأصبح منه الملك منبسط الظل
أقام الهدى والدين بالبيض والقنا
وساد العلى والمجد بالنائل الزجل

وقـارنـه الـتـأيـيـد فـي الـسـلـم والـوغـى
وصـاحـبـه الـتـأيـيـد فـي الـعـقـد والحل
سـرى مـجـده لـلـعـالمين ومـا سـروا
ولا كـلـفـوا حـيـث المطـيّـة لـلـرحـل
إذا بـخـلـوا جـادتـهـم سـحـب كـفّـه
وظـلـت تـسـأل الـنـاس عـن مـوضـع المحـل
تـفـرد فـي أوصـافـه عـن مـشـارك
وأفـرد مـن دون المـلـوك عـن المثـل

قال مؤلفه عفا الله عنه: قد جمعت في هذا الكتاب ما قدمت فيه العذر في أوله، ولست مزكياً نفسي ولا مبرياً لها عن سوء ما أنا راج له عفو الله سبحانه وتجاوزه عني مع عباده المسلمين. ولكني أقول:

يـا نـاظـراً فـيـه لا تـخـلـي مـؤلـفـه
عـنـد الـتناول مـن لـوم تـنـاولـه
إن كـنـت تـبـخـل بـالـظـن الجمـيـل فـلا
تـبـخـل بـقـولـك يـا رب اغـفـر لـنـا ولـه

وقال مؤلفه سامحه الله وغفر له:

أسـأت والـلـه فـيـمـا قـد جـمـعـت لـه
فـأسـتـقـيـل مـقـيـل المسـتـقـلَـيـنا
يـا رب لا تـخـزنـي يـوم الحـسـاب بـه
يـا قـارىء الخط قـل بـالـلـه آمـيـنا

تمَّ الكتاب بعون الله الملك الوهّاب على التمام والكمال، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المصادر والمراجع

المعجم المفهرس، لألفاظ القرآن الكريم.

صحيح البخاري، دار ابن كثير ـ بيروت ـ الطبعة الثانية.

صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

الفردوس بمأثور الخطاب، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

مسند الشاميين، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

مصنف عبد الرزاق، المكتب الإسلامي ـ بيروت ـ الطبعة الثانية.

مجمع الزوائد، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ـ القاهرة ـ بيروت.

أمثال الحديث، مؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الثانية.

تفسير القرطبي، دار الشعب ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية.

المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

لسان العرب، ابن منظور ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

الكافي للكليني، مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ الطبعة الأولى.

غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي مكتب الإعلام الإسلامي رقم ١٣٦٦ هـ.

النوادر، السيد فضل الله الراوندي ـ مؤسسة دار الكتاب .
علل الشرائع، الشيخ الصدوق ـ مكتبة الداوري.
وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي ـ مؤسسة آل البيت ١٤٠٩ هـ

رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب

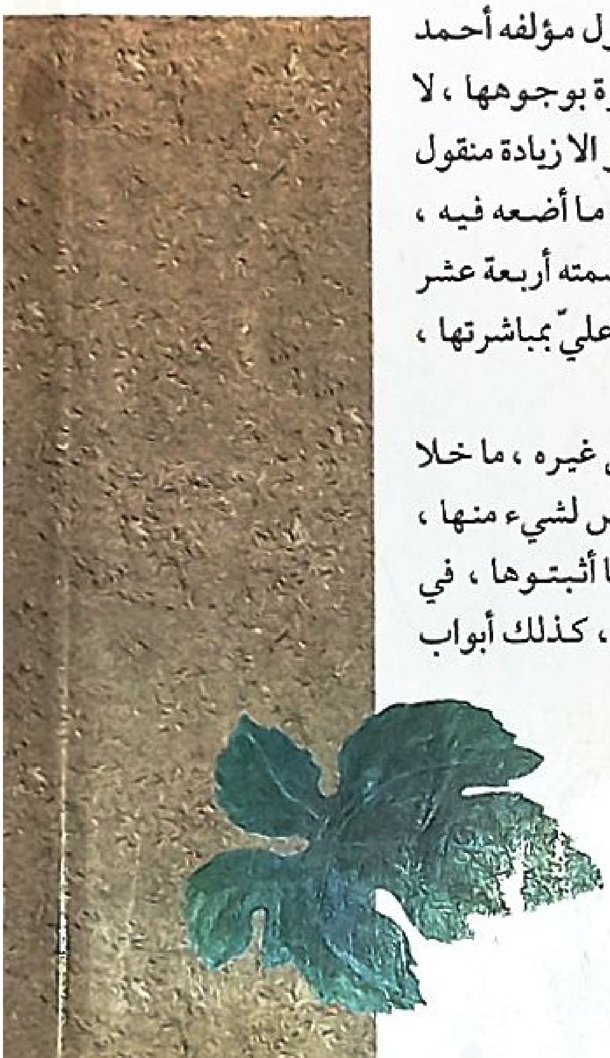

الغرض المقصود من هذا الكتاب هو حسب قول مؤلفه أحمد بن محمد بن علي اليمني الإشارة إلى لذة المباشرة بوجوهها ، لا الاشتغال بطلب مفقودها . فإن قيل : إن فيه ما هو الا زيادة منقول من غيره ، فإنما نقلته للاستشهاد به وتصحيح ما أضعه فيه ، وسميته : رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب . وقسمته أربعة عشر باباً يحتوي كل منها على فنون ما يشهد الجاهل عليّ بمباشرتها ، ويعلم العاقل المصنف أني لم آتها .

وجعلته مختصراً قائماً بذاته غير محتاج إلى غيره ، ما خلا الأبواب المنقولة من كتب الطب ، فإني لم أتعرض لشيء منها ، إذ كان منها ما يصح ، ومنها ما لا يصح ، وإنما أثبتوها ، في كتبهم نقلاً من مواضعها ، وتقليداً لواضعها ، كذلك أبواب التفرس والقياس في النساء .